مجلة جامعة دمشق للدراسات التاريخية

اسم المقال: صورة خراسان في عيون الرحالة الأندلسي أبو حامد الغرناطي من خلال كتابه "تحفة الألباب ونخبة الإعجاب – دراسة تاريخية تحليلية مقارنة في أحوالها الاجتماعية ولاقتصادية –
اسم الكاتب: راميا ماجد الخضور، أ.د. اكتمال كاسر اسماعيل
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/index.php/library/10409
تاريخ الاسترداد: 2026/11/01 05:48 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة – Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة – Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة جامعة دمشق للدراسات التاريخية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

مجلة جامعة دمشق للدراسات التاريخية المجلد 148
العدد 1 (2024):181-218

Damascus University Journal of Historical Studies
Vol. 148 No. 1 (2024): 181-218

صورة خراسان في عيون الرحالة الأندلسي أبو حامد الغرناطي من خلال كتابه "تحفة الألباب ونخبة الإعجاب – دراسة تاريخية تحليلية مقارنة في أحوالها الاجتماعية والاقتصادية –

رامیا ماجد الخضور [1] أ. د . اكتمال كاسر اسماعيل 2

[1] طالبة دكتوراه ،جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، قسم التاريخ.
ramamajid123.khodour@damascusuniversity.edu.sy
[2] أستاذ دكتور، جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ.
ektimal.ismail@ damascusuniversity.edu.sy

الملخص:

شكلت الرحلات الجغرافية بشكل عام والأندلسية بشكل خاص إلى بلدان المشرق العربي والإسلامي ظاهرة تاريخية وأدبية واضحة، أثرت مدونات مؤلفيها المكتبة العربية والإسلامية بما أودعوه فيها من مشاهدات قيمة للبلدان التي زاروها، وقد تعددت جوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية ، والبحث هنا يظهر عناية بنقل الشذرات التي تتعلق بإقليم خراسان في واحدة من أشهر الرحلات الأندلسية إلى المشرق وهي رحلة أبو حامد الغرناطي مع محاولة تخمين الأسباب التي دعته للاختصار في وصف خراسان .

عاش الرحالة الأندلسي أبو حامد الغرناطي في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي عصر الإبداع الجغرافي عند العرب المسلمين، وساح في قارات العالم القديم ثم سجل مشاهدات أسفاره في كتابه " تحفة الألباب ونخبة الإعجاب " الذي دمج فيه وصف جغرافية البلدان التي زارها مع ملامح الحياة الاجتماعية والحالة الاقتصادية فيها.

يكشف هذا البحث عن صورة خراسان وأحوالها من خلال دراسة تاريخية تحليلية لما قدمه الرحالة الأندلسي أبو حامد الغرناطي في مؤلفه "تحفة الألباب ونخبة الإعجاب" وما حمله بين طياته من الحوادث والوقائع المتعلقة بخراسان والتي تعددت وجوه حضورها في حديث الغرناطي ما بين الاجتماعي والاقتصادي وغيره، ومن ثم تم تناول هذه الأخبار المتفرقة بالتحليل والتفصيل والمقارنة بما كتب عن خراسان في بعض مؤلفات الجغرافيين الأخرى سواء الأندلسيين منهم والمشارقة على حد سواء.

الكلمات المفتاحية: الرحلات، الرحالة الأندلسيون، أبو حامد الغرناطي، خراسان، تحفة الألباب ونخبة الإعجاب.

تاريخ الإيداع: 2023/4/27
تاريخ القبول: 2023/15/17



حقوق النشر: جامعة دمشق – سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص CC BY-NC-SA 04

ISSN: 2789-7478 (online)
http://journal.damascusuniversity.edu.sy/

The Image Of Khorasan In The Eyes Of The Andalusian Traveler

Abu Hamed Al-Gharnati Through His Book" The Masterpiece Of Minds And The Elite Of Admiration" A Historical, Analytical And Comparative Study Of its Social And Economic Conditions

Ramya majid Al-khadour[1], Prof. Aktmal kaser Ismail [2]

[1] Phd Student , University Of Damascus, Faculty Of Arts and Human Sciences, Department of History.
ramamajid123.khodour@damascusuniversity.edu.sy

[2] Professor, University of Damascus, Faculty of Arts and Human Sciences, Department of History. ektimal.ismail@ damascusuniversity.edu.sy

Abstract:

Geographical trips in general and Andalusian trips in particular, to the countries of the Arab and Islamic Mashreq were a clear historical and literary phenomenon.

The research here shows an interest in transferring fragments related to the province of Khorasan in one of the most famous Andalusian trips to the East, which is the journey of Abu Hamid Al-Gharnati with an attempt to guess The reasons that led him to abbreviate the description of Khorasan.

The Andalusian traveler Abu Hamid Al-Gharnati lived in the sixth century AH / twelfth century AD, the era of geographical creativity among the Muslim Arabs

He traveled through the continents of the ancient world, then recorded the observations of his.travels in his book, "The Masterpiece of Minds and the Elite of Admiration," in which he combined the description of the geography of the countries he visited with the features of social life and the economic situation in them.

This research reveals the image of Khorasan and its conditions through a hi torical and analytical study of what the Andalusian traveler Abu Hamid Al-Gharnati presented in his book "The Masterpiece of Minds and Elite Admiration" and what he brought with it of facts and facts related
to Khorasan whose presence varies in the hadiths of Al-Gharnati between the social, economic and other aspects, then he dealt with This scattered news by analyzing, detailing and comparing what was written about Khorasan in some of the writings of other Andalusian and Oriental geographers alike.

Key Words: The Trips[1]- Andalusian Travelers[2] - Abu Hamed Al-Gharnati[3] – Khorasan[4] - The Masterpiece Of Minds And The Elite Of Admiration[5] .

Received: 27/4/2023
Accepted:17/15/2023

Copyright: Damascus University- Syria, The authors retain the copyright under a CC **BY- NC-SA**

المقدمة:

عاش أبو حامد الغرناطي أكثر حياته في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي عصر الإبداع الجغرافي عند العرب المسلمين، فشغف للرحلة ودفعه الفضول وروح الاكتشاف للتعرف على أمكنة وآفاق مجهولة، وقد شكلت خراسان إحدى محطات الغرناطي في ترحاله الطويل بوصفها واحدة من أهم مراكز الاحتكاك الحضاري في العصور الوسطى ، تقاطعت وتمازجت عبرها ثقافات وحضارات الشعوب المجاورة لها، فكانت جسراً ربط بين حضارة الهند في جنوبها والصين من شرقها مع حضارة الفرس الساسانيين ومن ثم العرب المسلمين في غربها.

دون الغرناطي عبر كتابه "تحفة الألباب ونخبة الإعجاب" آراءه وانطباعاته حول ما صادفه و شاهده في خراسان وما سمعه من أخبار و عجائب تثير الدهشة ، واصفاً هوائها ومناخها ومحاصيلها الزراعية، ذاكراً صفات أهلها وخصالهم التي عرفوا بها وامتازوا بها عن غيرهم من أهل الأقاليم الأخرى، وجاءت أخبار المدن الخراسانية (مرو – نيسابور – هراة – بلخ) في كتاب التحفة متناثرة غير مصنفة في تبويب معين.

أهمية البحث وإشكاليته:

تنبع أهمية هذه الدراسة من كونها دراسة موجهة لغرض استخلاص صورة خراسان من النواحي الاجتماعية والاقتصادية والعقائدية في ظل الحكم السلجوقي الموافق لرحلة الغرناطي إليها في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وقد تبلورت الإشكالية حول ظاهرة التجديد والاقتباس في أخبار الغرناطي، فهل كان مقتبساً لأوصافه ومشاهداته من كتب الجغرافيين القدماء ناكراً لذلك بعدم إشارته في أكثر أخباره لمصادرها؟، أم كان رحالة مجدد قضى حياته في الترحال اجتهد في الملاحظة والتدوين مستفيداً من إبداعات من سبقه من الجغرافيين فتشكل لديه تراكم معرفي استخدمه بعبقرية مميزة ليحقق إضافات جغرافية مهمة مكوناً بذلك شخصية جغرافية فريدة ؟، وهل تجاوزت مدونة الغرناطي " تحفة الألباب ونخبة الإعجاب "وصف المذكرات إلى كونها مصدر من مصادر التأريخ للبلدان التي زارها بما فيها خراسان؟.

أهداف البحـث:

تهدف هذه الدراسة إلى تناول سيرة الرحالة أبو حامد الغرناطي وإبراز دوره، في التعريف بصورة خراسان من خلال واحدة من أشهر المدونات الأندلسية" تحفة الألباب ونخبة الإعجاب" واستجلاء تناقضاتها لرسم صورة حية عن المجتمع الخراساني بجوانبه المختلفة قدر الإمكان.

مـنهـج الـبحـث:

أُعتمد في هذه الدراسة على المنهج التحليلي النقدي مع الارتكاز إلى إبراز المنهج الاستقرائي وذلك من خلال منظور سردي تم فيه استقراء ما أورده أبو حامد الغرناطي من أخبار ومعلومات عن إقليم خراسان ومعالجتها دراسةً وتحليلاً ومن ثم مقارنتها بمثيلاتها من نصوص المصادر التاريخية والجغرافية عامة سواء الأندلسية والمشرقية ومناقشتها للوقوف على رؤى أصحاب هذه المصادر ونظرتهم لخراسان.

أولاً: جغرافية خراسان في مؤلفات المؤرخين العرب والمسلمين:

تقع خراسان في أقصى شمال بلاد فارس، حدودها لاتتعدى نهر جيحون[1](سُهراب، 1929م ،144)، يحدها من الشرق إقليم سجستان[2] (الحموي ، 1977م، مج3، 190)؛ (الحسيني اليزدي ، 2011م ، 136- 137) والهند، ومن الغرب صحراء الغز[3](ابن حوقل، 1992م، 358).

ونواحي جرجان[4](الحموي ، 1977م ، مج2، 119)؛ (أبو الفداء، 1840م ، 439) ، ومن الشمال نهر جيحون ومن خلفه بلاد ما وراء النهر [5](بارتولد،1981م،145)، ومن الجنوب صحراء فارس وقوهستان[6](ابن حوقل، 1992م ، 373) ؛ (الحموي ، 1977م،

---

(1) - نهر جيحون أحد الأنهار الرئيسة في آسيا الوسطى وأكبرها، عد قديماً الحد الفاصل بين إقليم خراسان وبلاد ما وراء النهر، كما عد الحد الفاصل بين الشعوب الناطقة بالتركية والأخرى الناطقة بالفارسية،يعرف اليوم باسم " نهر آمودريا "، يبلغ طوله 1150ميل ومساحة حوضه تصل لنحو 221متر،يصب في بحر آرال .

(2) - سجستان ناحية واسعة واقعة في بلاد سهلية كبيرة جنوب خراسان يمر فيها دلتا نهر هيلمند وغيره من الأنهار مما جعل أرضها خصبة ، اسمها عربي محرف من الاسم الفارسي "سكستان" ويقال لها أيضاً "نيمروز " .

(3) – صحراء الغز ويقال لها مفازة الغزية ، والغز صنف من الترك

مـج4، 416) وقومس[7](أبـو الفداء ،1840م ، 432) إلـى نـواحي جبـال الـديلم[8](ابـن حوقـل، 1992م، 319) مـع جرجـان وطبرستان[9](البكري،1945م،ج3 ،887) ؛(لسترنج ، 1985م، 409) والري[10](الحمـوي، 1977م، مـج3،116) وقزوين[11](ابن حوقل، 1992م، 358)؛ (أبو الفداء ،1840م ، 441)؛(الحميري، 1974م ، 215)؛ ؛(لسترنج ، 1985م ، 253–254) .

تعددت روايات الجغرافيين والمؤرخين في معنى اسم خراسان ودلالته واشتقاقه واختلفت في تفسيره ، منها ما أشار إلى أن خراسان قد كسبت اسمها من الشخصية الأسطورية خراسان بن عالم بن سام بن نوح عليه السلام ، إذ يؤكد المؤرخين نقلاً عن النسابين أن "خراسان وهيطل" ابنا عالم بن سام بن نوح خرجا من بابل لما تبلبلت الألسن فيها ، فاستقر خراسان في البلاد التي أخذت اسمه لاحقاً ، بينما أخوه هيطل فاتجه إلى بلاد ما وراء نهر جيحون واستقر بها وسميت تلك البلاد ببلاد الهياطلة نسبة لـه"[12](ابـن الفقيـه، د.ت، 314)؛(المقدسـي، 1877م، 261)؛(الحمـوي، 1977م مـج5 ، 422)؛(لسـترنج، 1985م، 476)؛(الحديثي ، 1990م، 15)؛ (شاكر ، 1978م ، 8)، وفي رواية ثانية تمت الإشارة إلى أن خراسان سميت بذلك تيمناً بالآلهة التي عبدها سكان تلك البلاد ، إذ نسب اسم خراسان إلى إله الشمس(خور) أو (خور خشايتة أي الشمس العليا) الذي كان

---

[4](4) - جرجان مدينة سهلية بين طبرستان وخراسان ، كثيرة الأمطار والشتاء متصل بها ، ومياهها كثيرة وضياعها عريضة ، فتحها القائد يزيد بن المهلب سنة 98هـ/ 717م في عهد الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك .

(5) - بلاد ما وراء النهر اسم أطلقه العرب المسلمون على البلاد المحصورة بين حوض نهر أمودايا " جيحون " وسرداريا " سيحون " ، وتعرف ببلاد ما وراء نهر جيحون، كما تعرف باسم بلاد التركستان "أرض الترك" .

(6) – قوهستان معنى اسمها " موضع الجبال " ، وهي ناحية جبلية بين هراة ونيسابور ، أطرافها متصلة بهراة بالقرب من صحراء فارس ، قصبتها تسمى " قاين ".

(7) – قومس بلد واسع جليل القدر قصبته الدامغان ، وهي صقع بين خراسان وبلاد الجبل .

(8) – جبال الديلم هي جبال منيعة تشكل الجزء الجنوبي الغربي لبحر قزوين .

(9) – طبرستان:هي منطقة الجبال العالية الممتدة بجوار الساحل الجنوبي لبحر قزوين، قيل أن اسمها يعني بالفارسية" موضع الفؤوس"،الاسم الشائع له" مازندران".

(10) – الري مدينة مشهورة من أمهات البلدان وأعلام المدن كثيرة الخيرات ، بينها وبين نيسابور 160 فرسخاً .

(11) – قزوين إحدى مدن إقليم الجبال ، وهي مدينة محصنة زاهرة تقع شمال غربي طهران ، في أسفل منطقة جبلية ، ذات أراضي خصبة .

(12) - أشار الجغرافيون إلى أن هيطل اسم لبلاد ما وراء النهر جاء من اسم هيطل بن عالم بن سام بن نوح "عليه السلام " ، الذي استوطن تلك البلاد وعمرها فسميت باسمه وهو أخ خراسان ؛ وقد كان الهياطلة أشد أعداء الدولة الساسانية في المئة الخامسة للميلاد ، غير أن بعض المؤرخين العرب المسلمين أطلقوا هذه التسمية اعتباطاً على جميع الشعوب التركية في ماوراء نهر جيحون.

أكبر الآلهة وأعلاها شأناً ينير الدنيا بأشعته ويدفىء المخلوقات بحرارته وفي ذلك إشارة تقديس شعوب تلك البلاد لمظاهر الطبيعة وعناصرها وتأليهها (كريستنسن، د.ت، 132- 134)، وفي رواية أخرى رجح بعض المؤرخين أن يكون اسم خراسان فارسي مشتق من شطرين فـ "خر" معناها "كُل" أما "اسان" فتعني "سهل"، وبهذا تصبح "كُل بلا تعب" أو "كل بالرفاهية "(البكري ، 1945م، ج2، 489) ؛(أبو الفداء، 1840م، 441) ؛(الحميري،1974م، 214)؛(الحديثي، 1990،16)، في إشارة إلى كثرة خيرات خراسان الاقتصادية وتنوعها الأمر الذي جعل حياة سكانها ذات سهولة ويسر دون عناء ، أما الرواية التي يعتقد أنها الأقرب للصواب فتشير إلى أن سبب تسمية تلك البلاد بـ "خراسان" يعود إلى موقعها في مشرق الأرض، إذ قيل أن اسم خراسان باللغة الفارسية القديمة يعني "البلاد الشرقية " أو بلاد الشمس المشرقة " وهي كلمة مركبة من مقطعين الأول " خُر " " تعني "الشمس" بالفارسية، والثاني" اسان" ومعناه موضع الشيء وأصله ومكانه، فيصبح المعنى مكان شروق الشمس أو "مطلع الشمس " (البكري، 1945م، ج2، 489- 490)؛(الحموي، 1977م ، مج2 ، 350)؛(أبو الفداء، 1840م، 441)؛ (الحميري، 1974م ، 214)؛ (لسترنج، 1985م، 423)؛(الحديثي، 1990م ،16)؛ (شاكر، 1978م، 8)، وذلك التفسير اللغوي منسجم مع موقع بلاد خراسان من العالم ومستمد منه، حيث تقع خراسان في مشرق الأرض، وبذلك يمكن القول أن بلاد خراسان مُنحت تسميتها تيمناً بموقعها الجغرافي. قسم الجغرافيون خراسان إلى أربعة أقسام رئيسة يجري في كل قسم منها نهر عظيم يفصل أحدها عن الآخر(ابن الفقيه، د.ت، 321)؛ (المقدسي،1877م، 313)، ونُسب كل قسم منها إلى إحدى المدن الأربع الكبرى فيها كدلالة على منزلتها وعظمتها ، والتي كانت في مراحل تاريخية مختلفة عواصم ومراكز للحكم فيها (الاصطخري، 1937 م، 253- 254)؛ (ابن حوقل ،1992م، 361)؛(لسترنج، 1985م، 424)، فعرفت بكراسي خراسان وقواعدها وأمهات المدن فيها(الثعالبي ب، د.ت، 120)؛ (ابن خلكان،1978م، مج1 ،27)؛(ابن بطوطة، 1987م، ج1،394)، وقد فرض هذا التقسيم الجغرافي على

حكام خراسان في مختلف العصور التاريخية تقسيماً إدارياً مماثلاً عرف بنظام الأرباع حيناً أو نظام الكور حيناً آخر[13] (البلاذري،1987م،567)؛ (ابن حوقل، 1992م،361)؛ (ابن منظور، د.ت،مج5، 156)، (الحديثي، 1990 م، 19- 39).

مما تقدم يلاحظ أن خراسان قد حظيت باهتمام الجغرافيين العرب والمسلمين والمؤرخين المعاصرين فحفلت مصنفاتهم بمعلومات وافية عن أصل تسميتها وموقعها وحدودها وتضاريسها ، كما أشاروا لخطط مدنها الرئيسة (نيسابور – مرو – هراة – بلخ) وأحوالها الاجتماعية والعلمية والدينية والاقتصادية وغيرها من المعالم الجغرافية التي تميزت بها كل مدينة، مسهمين بما قدموه في مدوناتهم في إثراء المكتبة العالمية بمعارف جغرافية متعددة و متباينة في محتواها ومنهجها مما يعكس قراءاتهم الحضارية.

ثانياً: أهمية الرحلات الجغرافية في التراث العربي الإسلامي والأندلسية منها بشكل خاص:

شغلت الرحلة مكانة مهمة في المصادر العربية و الإسلامية وحظيت بالاهتمام والدراسة بوصفها فنٌ له مميزاته الخاصة، كتب فيه أدباء الفكر العربي الإسلامي ومؤرخيه قديماً وحديثاً تصانيف كثيرة ، ونالت القبول من قبل القراء ومحبّي الوصف، وذاعت شهرتها وأهميتها كونها منبع ثري يتسع لمختلف العلوم التي تهم كل من المؤرخ والجغرافي وعالم الاجتماع والاقتصاد والمهتم بالأديان والأساطير، فهي سجل حقيقي لما فيها من تصوير لأحوال الرّحالة وأحداث أسفارهم وتصوير شعورهم وانطباعهم الذاتي تجاه ما شاهدوه وما عاشوه، بالإضافة إلى وصف البلدان التي زاروها بطريقة آثرة وممتعة بكل ما فيها من تضاريس ومظاهر عمران وتجليات حضارية إلى جانب العناية بالحديث عن أنماط معيشة المجتمعات التي عبروها وعاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية وعقائدهم وطباعهم وأوصافهم وما في تلك البلاد من آثار وعجائب وتدوين ما سمعوا على ألسنة شعوبها من أساطير وخرافات،

[13]- الكور مفردها كورة وهي المدينة والصقع ، وقد قسمت خراسان إدارياً إبان العصر الساساني لأربعة أرباع (أقسام) إدارية، وحكم كل قسم منها مرزبان، وبقي هذا التقسيم الإداري لخراسان في القرنين الأول والثاني الهجري على ما هو عليه، إذا أبقاها العرب المسلمون أرباعاً هي " نيسابور ومرو وهراة وبلخ" ، إلا أن تقسيم خراسان الإداري شهد تغيراً واضحاً في العصر العباسي وتحديداً منذ مطلع القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي ألغيَ التقسيم الرباعي وظهر نظام الكور الذي نفذ في زمن الدولة الطاهرية(205-259هـ/820-872م) ، وبقيت أسماء الأرباع الأربعة هي الأسماء المستعملة للكور " نيسابور، ومرو، وهراة، وبلخ".

فكانت الرحلات بذلك جزء مهم من التأريخ للشعوب العربية والإسلامية وغيرها، وقد عمل باحثو العصر الحالي بمختلف مجالاتهم على استقراء نصوصها في محاولة لفهم حياة الشعوب قديماً كل حسب تخصصه .

عُرف أهل الأندلس في العصور الوسيطة الإسلامية باهتمامهم بالرحلات فأكثروا من القيام بها وتدوينها نتيجة لانفتاح الفكر العربي الإسلامي على مختلف التيارات الحضارية، فأسهموا بما قدموه في إثراء المكتبة العالمية بمدونات أودع فيها مؤلفيها المعارف الجغرافية المتعددة والمتباينة في محتواها ومنهجها مما يعكس قراءاتهم الحضارية لما وقعت أعينهم عليه خلال هذه الرحلات فبعضهم ركز على الجوانب العلمية، والبعض الأخر ركز على الجوانب الاقتصادية، أو الجوانب الدينية أو الاجتماعية أو المعالم الجغرافية لبلد ما (الشوابكة، 2008،20-21).

وقد حظي المشرق العربي والإسلامي بنصيب وافر من الوصف والدراسة والتحليل من قبل الرحالة الأندلسيين الذين قدموا إليه تحثهم دوافع عديدة للمضي قُدماً نحو المجهول ولعل العامل الفكري والمعرفي كان في مقدمتها والسبب الرئيسي في توجه معظم الرحالة شطر المشرق ، فدائماً ما كانت الرحلات والأسفار أول السبل لتوسيع آفاق المعرفة وتلبية الشغف العلمي (مؤنس، 1986م، 2-3)، ولأن الدين الإسلامي نفسه يدعو إلى العلم والمعرفة فغالباً ما ارتبط العامل الديني بالعامل الثقافي لدى الكثير من الرحالة الأندلسيين فكان الحج إلى بيت الله سبباً في تأصل فن الرحلات عندهم ، فاجتمعت لدى الرحالة الرغبة في أداء أحد فروض العبادة مع الرغبة في الارتواء من مجالس الشيوخ والعلماء المشرقيين وأخذ المفاهيم والتعاليم الإسلامية من معينها ، فشدوا رحالهم إلى المشرق (الشوابكة، 2008، 26- 33)؛ (ضيف، د.ت ،9)؛ (كردي، 2013م،80).

كما شكل طلب الرزق والسعي في سبيل الكسب أعظم بواعث الرحلات، فهو أمر اقتضى القيام بالسفر البعيد والترحال براً وبحراً ، وكثيراً ما اندفع الرحالة لممارسة النشاط التجاري بهدف الحصول على موارد مالية لتغطية نفقات الرحلة (حسن،1981م،10-11). ولا يمكن أيضاً تجاهل دور العامل الشخصي كأحد العوامل المهمة في اندفاع كل واحد من الرحالة على حدة للقيام برحلته ، فقد أولع الأندلسيون بالسياحة والتجوال في مشارق الأرض ومغاربها يدفعهم لذلك حب المجازفة وشغف خوض المغامرات والرغبة في

اكتشاف الأماكن المجهولة والتعرف على البلدان وشعوبها (مؤنس،1986م،9 –10)، فالسفر بنظرهم "مرآة الأعاجيب وقسطاس التجارب"(فهيم، 1989م،15).

ومهما اختلفت وتعددت دوافع الرحلة وبواعثها، فقد ساهم أحدها أو معظمها في قيام الرحلات الأندلسية إلى المشرق العربي الإسلامي تلك الظاهرة التاريخية والأدبية التي كانت شكلاً من أشكال توثيق الصلات والتفاعل بين مختلف أطراف العالم العربي الإسلامي، وقد تعدت كونها مذكرات شخصية لتصبح مصدراً من مصادر التاريخ للمشرق العربي الإسلامي بكل مظاهر ثقافاته وأنشطته الحضارية (الشوابكة، 2008، 17– 51)؛(كردي، 2013م، 11–15)؛(حسن ،1981م،6–10)؛(ضيف، د.ت، 8– 12) .

والبحث هنا يتجه لمعرفة صورة خراسان أحد أقاليم المشرق بعين الرحالة الأندلسي أبو حامد الغرناطي واستجلاء مظاهر الحياة فيه في واحد من أهم العصور الإسلامية وهو العصر الذي حكم فيه السلاجقة بعض مناطق المشرق الإسلامي.

ثالثاً: التعريف بسيرة أبو حامد الغرناطي (نسبه – رحلته – مؤلفاته):

تسير السيرة الذاتية إلى جانب التاريخ جنباً إلى جنب، تنشأ وتشب في حضنه، فهي فنٌ متميز يقع بين الأدب والتاريخ، ذلك أنها رواية لأحداث الذات، وترجمة المؤلف لنفسه، وقد ترجم قلة من رجال الفكر والعلم في التاريخ العربي والإسلامي لأنفسهم ومن بينهم أبو حامد الغرناطي لكنه ليس أولهم ولا يعد من مجددي هذا النوع من الدراسة التاريخية.

قدم الغرناطي ترجمة مختصرة عن نفسه جاء فيها: "سُميت محمد بن عبد الرحيم بن سليمان بن ربيع القيسي بن قيس عيلان بن إلياس بن مضر بن نزار، ومولدي بالمغرب الأقصى بجزيرة تُعرف بأندلس فيها أربعون مدينة، ومولدي في مدينة تُسمى غرناطة" (الغرناطي، 1999م، 10)، وقد اتفقت المصادر التاريخية أن ولادته كانت سنة 473هـ/ 1080م في غرناطة التي نشأ وترعرع وتلقى تعليمه الأولي فيها (الصفدي، 1991م،ج3، 245 – 246)؛(المقري التلمساني، 1968م، مج2، 235)؛ (مؤنس، 1986م، 305)، وقد أكد هو نسبه إلى غرناطة وكرره في كتابه " تحفة الألباب ونخبة الإعجاب– الكتاب موضوع البحث– وذلك بقول : " فإن بلدي الأندلس واسم بلدي غرناطة وهو بلد كبير عظيم"(الغرناطي، 1993، 143)، وقد تباينت الروايات في كنية الغرناطي

فقيل أبو عبدالله ، وفي رواية ثانية أبو بكر ، وفي رواية أخرى أبا محمد ، لكن يغلب الظن أنه أبو حامد به تكنى وعُرف(المقري التلمساني، 1968م، مج2، 235)؛ (الزركلي، 2002م، ج6، 199).

غادر أبو حامد وطنه الأندلس دون رجعة إلى بلاد المشرق العربي الإسلامي عام 500 هـ / 1107م وهو في ريعان شبابه في السابعة والعشرين من العمر، دفعه لذلك شغفه العلمي والارتحال لمجرد الرحلة، متوجهاً نحو المغرب الأقصى وهناك لم يستقر في مكان معين فقد وصل إلى سجلماسة[14] (الإدريسي،2002م،ج1 ،221– 225) ذات المركز التجاري في الصحراء الافريقية الكبرى، ثم انتقل منها إلى افريقية (تونس) ومنها غادر نحو مدينة الاسكندرية المصرية بطريق البحر سنة 511 هـ / 1118 م (الدفاع، 1993م، 158) ومن المرجح أنه في رحلته هذه قد عرج على جزيرتي صقلية و سُردانيه[15] (الحموي، 1977م، مج3،209، 416) التي ذكرهما في كتابه التحفة (الغرناطي،1993م،127).

وصل أبو حامد إلى الاسكندرية في عهد الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله (495– 524هـ/ 1101–1129م) [16] (ابن خلكان، 1978م،مج5، 299– 302)، وحرص فيها على تحصيل العلوم ويعتقد أنها علوم دينية حاله حال أبناء عصره، لكن إقامته فيها لم تستمر سوى سنة واحدة، إذ سرعان ما انتقل منها إلى القاهرة سنة 512 هـ/ 1119م فأقام هناك ثلاث سنوات التقى خلالها عدد من كبار رجال الفكر، وقدم في كتابه " تحفة الألباب ونخبة الإعجاب"وصفاً حضارياً بأسلوب ممتع عن الأماكن التي زارها في كل من الإسكندرية والقاهرة (المقري التلمساني، 1968م، مج2، 235)؛ (مؤنس، 1986م، 308– 310)، وتابع أبو حامد الغرناطي ترحاله فوصل إلى دمشق سنة 515هـ/ 1125م ليتابع فيها دراسته للحديث، كما زار كل من بعلبك وتدمر (مؤنس، 1986م،

---

[14] - سجلماسة مدينة في الصحراء من مدن جنوب المغرب لها نهر كبير كنهر النيل كثير الماء يأتي إليها من جهة المشرق وهي من بلاد البربر .

[15] – جزيرة صقلية مثلثة الشكل تقع مقابل افريقية (تونس) ، أما جزيرة سُردانية فهي إحدى جزر بحر الروم " المتوسط" الكبرى ، ملكها العرب المسلمون سنة 92هـ / 711م .

[16] - الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله (490- 524هـ/ 1097- 1130 م) أبو علي المنصور بن أحمد المستعلي بالله بن معد المستنصر الفاطمي ، بويع له بالخلافة بعد وفاة أبيه سنة(495هـ / 1102) وهو ابن خمس سنوات ، فكان عاشر خلفاء الدولة الفاطمية ـ استحل في زمنه الخطر الصليبي في ساحل بلاد الشام ، تخلص من وزيره الأفضل بن بد الجمالي ، استمر خلافته 29 عاماً وكانت نهايته القتل على يد جماعة من أتباع عمه نزار لخلاف بينه وبين أبيه المستعلي على عرش الفاطميين في مصر .

310)، لينتقل من الشام إلى مدينة السلام بغداد عام 516هـ / 1124م سعياً للإفادة من علمائها فمكث بها قرابة أربع سنوات برعاية يحيى بن هبيرة[17] (ابن الجوزي ،1992 م ج18، 166- 170) أحد الرجال المقربين من السلاجقة والذي أصبح لاحقاً وزيراً للخليفة العباسي المقتفي لأمر الله " 530-555هـ/ 1136- 1160م "(الغرناطي، 1999م،9).

لم يستقر أبو حامد الغرناطي في بغداد وإنما استمر متنقلاً في بلدان العالم المجاورة للعراق فساح سنة 524 هـ/ 1129م في مدن الهضبة الإيرانية في أقصى الشرق و الشمالي الشرقي واصفاً في مؤلفاته كل ما شاهده هناك بعين الجغرافي الدقيق المهتم بالفائدة والمتعة، ثم عبر بحر قزوين متجهاً إلى خوارزم التي نالت إعجابه فخصها بعدة زيارات، كما توجه شمالاً باتجاه الأصقاع الروسية بعد أن ناهز الخمسين من العمر، فوصل إلى مصب نهر الفولغا في سنة525 هـ/ 1130م، ثم اتجه إلى شرق أوروبا فوصل إلى بلاد البلغار سنة 530 هـ/ 1135م وأقام فيها وهناك توفي أحد أبنائه ، ومن المرجح أنه بقي فيها مدة طويلة قاربت الخمسة عشر عاماً وأنه مارس التجارة خلال هذه المدة (مؤنس، 1986م ،312- 318 ، 323)؛(الدفاع، 1993م، 158)، ومن المتوقع أنه قصد في سنة 530 هـ / 1135م ناحية بلخ الخراسانية بشكل زيارة خاطفة سيتم الإشارة إليها عند الحديث عن مشاهدة الغرناطي للأضرحة (الغرناطي،1993م، 163)، كما زار الغرناطي باشغرد التي يرجّح الباحثون أنها بلاد المجر سنة 545هـ/ 1154م وامتلك فيها منزلاً، وهنا لابد من الإشارة إلى أن الغرناطي لم يكن في هذا الردح الطويل من الزمن يتنقل في رحلاته بمفرده بل كانت ترافقه أسرته ومما يؤكد ذلك قوله أنه دفن أحد أبنائه في بلاد البلغار، وأيضاً زواج ابنه الأكبر حامد من سيدتين من أهل باشغرد واستقراره الدائم هناك. (الغرناطي،1993م، 8- 9)؛ (مؤنس، 1986م،318- 319)؛ (الشوابكة، 2008، 58).

لم تطل إقامة الغرناطي في باشغرد فقد غادرها إلى خوارزم سنة 546هـ/ 1155م ، ومنها توجه إلى مكة قاصداً الحج ماراً بمدن خراسان "مرو- نيسابور"، وبعد انتهائه من أداء فريضة الحج عاد إلى بغداد للمرة الثانية(المقري التلمساني، 1968م، مج2، 235)؛ (مؤنس، 1986م،323)، وقد وصلها سنة 554 هـ/1159م بعد غيابٍ عنها دام نحو ثلاثين عاماً ، ليحل ضيفاً مرة أخرى

[17] - الوزير أبو المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة الشيباني البغدادي الحنبلي (499- 560هـ / 1106-1165م) ، قيل أنه مات بالسم.

على الوزير يحيى بن هبيرة، ثم غادرها إلى الموصل عام 556هـ/1161م وأشارت الروايات التاريخية أن الغرناطي وضع في زيارته هذه للعراق أهم مؤلفاته– سيتم ذكرها لاحقاً–(مؤنس، 1986م ،323)، وكعادة الغزناطي فإنه لم يستطع البقاء طويلاً في العراق ربما كونه تعود على الترحال، أو ربما لعوامل علمية أخرى فإنه انتقل إلى حلب سنة 560هـ/ 1165م (المقري التلمساني، 1968م، مج2، 235)، ومنها إلى دمشق التي لم يغادرها فقد كانت آخر محطة له حيث توفي ودفن فيها سنة 565 هـ/1170م وقد بلغ من العمر اثنا وتسعون عاماً قضى منها قرابة خمس وستون عاماً في الترحال والتجوال وتدوين مشاهداته"(الغرناطي، 1999م،5)؛ (الصفدي، 1991م،ج3، 246).

لم يشرح الغرناطي أخبار رحلته الطويلة ومشاهداته في مذكرات يومية بل صنفها حسب مواضيعها وجمعها وطرحها في مؤلفاته، ويمكن للدارس لسيرة أبو حامد الغرناطي في المصادر والمراجع التاريخية تصنيف مؤلفاته إلى صنفين:

أ. المؤلفـــات المطبـوعـة (المحـقـقـة):

عرف من مؤلفات أبو حامد الغرناطي مؤلفين أساسيين على صعيد أدب الرحلة هما:

- **الكتاب الأول: "المعرب عن بعض عجائب المغرب"** الذي وضعه في زيارته الثانية لبغداد سنة 554هـ/1159م بطلب من الوزير يحيى بن هبيرة"(الغرناطي، 1999م، 8– 9)؛ (مؤنس، 1986م ، 326).
- **الكتاب الثاني: " تحفة الألباب ونخبة الإعجاب"** الذي أتم أبو حامد الغرناطي تدوينه في عام 557هـ/ 1162م بالموصل بتوصية من العالم المتصوف الشيخ معين الدين عمر بن محمد بن خضر أبا حفص الأربلي الموصلي[18](الزركلي، 2002م، ج5، ص60– 61) الذي حثّه على تدوين مشاهداته وتجاربه في كتاب ينتفع به الناس (الشوابكة، 2008، 60).

[18] - العالم المتصوف الشيخ معين الدين عمر بن محمد بن خضر أبا حفص الأربلي الموصلي ، شيخ الموصل ، عُرف باسم الملاء ، كان زاهداً صالحاً ، له أخبار مع الملك نور الدين محمود بن زنكي الذي أمر نوابه في الموصل إلا يتخذوا قراراً حتى يعلموا به الشيخ الملاء.

ومن الملاحظ هنا أن الفارق الزمني بين الكتابين فقط ثلاث سنوات مما يشير إلى غزارة مشاهدات الغرناطي وسعة المعارف التي حصلها في ترحاله مما انعكس على إنتاجه المعرفي الذي يشير لثقافته المتنوعة وتفرغه للكتابة مما أهّله ليصبح تراثه موضع اهتمام الدارسين.

- أهمية كتاب "تحفة الألباب ونخبة الإعجاب" وأسلوب أبو حامد الغرناطي فيه :

حظي كتاب " تحفة الألباب ونخبة الإعجاب" – الذي البحث بصدد تحليل واستقراء بعض نصوصه– باهتمام المستشرقين ، إذ قام المستشرق الفرنسي **غابر**يال **فران** في عام ١٩٢٥ م بنشره لأول مرة (الغرناطي،1993م،16)؛ (الزركلي، 2002م، ج6،200).

اتسمت مشاهدات الغرناطي في كتابه التحفة بسمة العجائبية حيث اتجه الغرناطي نحو تسجيل الحوادث العجيبة المثيرة للاستغراب وتصويرها بأسلوب سردي ممتع ومشوق يجعلها أقرب للقصص الخرافية الغير واقعية، وهذا ما يلاحظ في حرصه على استخدام كلمة العجائب في صياغة عنوان الكتاب ،غير أنه يحاول أن يقنع قارئ كتابه "التحفة" بصحة وواقعية ما يرويه له ويأبى نعت مشاهداته بالخيالية، ويعزو عدم تصديق حكاياته إلى الجهل ونقصان العقل، معبراً عن ذلك بقوله:" فلا تكن مكذباً بما لا تعلم وجه حكمته " (الغرناطي ،1993م، 34). وعن مفردات كتاب "تحفة الألباب ونخبة الإعجاب" فقد جعله الغرناطي في أربعة أبواب هي:

- **الباب الأول**: في صفة الدنيا وسكانها إنســـها وجانها.
- **الباب الثاني**: في صفة عجائب البلدان وغرائب البنيان.
- **الباب الثالث**: في صفة البحار وعجائب حيواناتها وما يخرج منها من العنبر والقار، وما في جزائرها من أنواع النفط والنار.
- **البـــاب الرابـــع**: فـي صـفات الحفـائر والقبـور ومـا تضـمنته مـن العظـام إلـى يـوم البعـث (الغرنـاطي،1993م،217)؛ (الشوابكة،2008م، 59).

يُلاحظ من خلال دراسة رحلة الغرناطي في كتابه " تحفة الألباب ونخبة الإعجاب" أن الغرناطي كان مدركاً لأهمية التوثيق كأسلوب لبناء الثقة بينه وبين المتلقين والقارئين لرحلته الذين لولا التوثيق سينظرون للرحلة بعين الشك وعلى أنها لا تتعدى كونها مروية وحكاية لا أساس حقيقي لها ، فاعتمد الغرناطي عدة آليات لتوثيق رحلته منها :

1- القيام بالمشاهدة والمعاينة باستخدام صيغ دالة على ذلك كـ " رأيتُ – شاهدتُ " واستخدام ضمير المتكلم عند التحدث عن نفسه ومشاهداته (الغرناطي ،1993م ، 104- 108- 113) .

2- النقل سماعاً من الرواة الثقات وعن العلماء بعد التعريف بهم وبعلومهم وأسفارهم(الغرناطي،1993م،108- 129- 159).

3- النقل من كتب أسلافه القيمة ودواوين أشعارهم دون حرج بهدف إكمال المعلومة وتوسيع نطاقها ، ويعد ابن حزم الأندلسي والمتنبي والأديب الجاحظ أبرز من اقتبس عنهم الغرناطي في كتابه التحفة(الغرناطي،1993م،43-55- 72-74-83- 148).

4- عد الاستشهاد بالآيات القرآنية مرتكز أساسي لأبو حامد الغرناطي في كثير من مروياته(الغرناطي،1993م ، 162) .

5- الإستناد إلى الرواة الثقات ، فالغرناطي أحياناً يسترشد في رواياته وأحاديثه بمنقولات عن النبي(ص) و الإمام جعفر الصادق ، وأبرز رواة الحديث في العصر الأموي " كعب الأحبار"(الغرناطي ،1993م ، 50- 55- 59- 119- 155) .

6- الاقتباس من التجار والملاحين ومعلوماتهم ومشاهداتهم في رحلاتهم البحرية (الغرناطي ،1993م ، 120) .

7- أتبع الغرناطي الأسلوب المنطقي الوصفي في بعض حكاياته ، كتحديد البنية الزمانية والمكانية للحكاية في سبيل إقناع القارئ بصحتها رغم غرابتها (الغرناطي ،1993م ، 162) .

هذه التعددية والتنويع على صعيد الرواة ومصادر المعلومات شكلت عامل جذب عند قراءة رحلة الغرناطي وأبقاها بعيدة عن الملل والرتابة، لكن يؤخذ على الغرناطي أنه لم يذكر مشايخ بلده الذين تتلمذ عليهم وأخذ منهم علمه، بالعموم يمكن القول أن الرحالة أبو حامد الغرناطي في كتابه "تحفة الألباب ونخبة الإعجاب" قدم معلومات متنوعة هي مزيج بين الحقيقة والخيال، فقد

حوت تحفته على مواد ذات فائدة شكلت مساهمة منه في علم الجغرافية اقتبسها ونقلها عنه بعض الجغرافيين ممن جاؤوا بعده، بالإضافة إلى تقديمه مادة ممتعة تصب في خانة الأدب الشعبي.

ب. المؤلفـات المخـطوطـة (غير المحـقـقة بعد):

تشير المصادر التاريخية أن أبا حامد قد خلف عدة مدونات ضمت مشاهداته وهي ما تزال في حالتها المخطوطة هي:

1. نخبة الأذهان في عجائب البلدان (ما يزال مخطوطاً).
2. عجائب المخلوقات (ما يزال مخطوطاً أشار بروكلمان لوجود نسخة منه في المتحف البريطاني).
3. شرح أصول التوحيد (ما يزال مخطوطاً في المكتبة الظاهرية).
4. تحفة الكبار في أسفار البحار (يوجد مخطوطه في المجمع العلمي للتاريخ في مدريد) (الغرناطي، 1993 م،7-33)؛ (مؤنس، 1986م، 304 -324)؛ (الدفاع، 1993م، 158-159)؛ (الشوابكة، 2008م، 58-61).

رابعاً: خراسـان بـعيون أبو حـامد الـغـرنـاطي من خلال كتابه "تحفة الألباب ونخبة الإعجـاب" :

استعرض الغرناطي في فصول قصيرة في كتابه " تحفة الألباب ونخبة الإعجاب "عدة أحكام موجزة ومختصرة عن البلدان التي زارها خلال رحلته وتجواله، سجل فيها ملاحظات ومعلومات وصور وحقائق وعجائب وغرائب يمكن تشبيه بعضها بالحكم وبما تشتهر به هذه البلدان.

كان لخراسان نصيب من العرض والذكر في التحفة فقد كانت إحدى محطات رحلته، فتناولها في مشاهداته من عدة جوانب ولاسيما جوانبها الاجتماعية والاقتصادية، غير أن المعلومات المتوافرة عنها وعن أخبارها لم تكن مجمعة بل جاءت متناثرة ومشتتة بين دفتي التحفة لذا تم الاطلاع عليها ودراستها نقداً وتحليلاً واستنتاجاً لاستخلاص التأثيرات الاجتماعية والاقتصادية منها ومن ثم مقارنتها مع ما جاء في كتب المؤرخين والجغرافيين من نصوص في وصف خراسان مما تطلب بعض الجهد، ومن أول الأمور التي أثارت اهتمام الغرناطي بخراسان كان:

أ- مناخ خراسان:

استهل الغرناطي حديثه عن خراسان واصفاً ماؤها بالجامد وعدوها بالجاهد (الغرناطي، 1993م، 78)، وقد سبقه إلى هذا الوصف صاحب الأخبار الطوال أبو حنيفة الدينوري (الدينوري، 1912م،310)، فما المقصود بذلك ؟.

غالب الظن أن المقصود بعبارة ماؤها جامد هو وصف لشدة برودة مناخ خراسان وصعوبة مسالكها وبلوغ مياه أنهارها درجة التجمد بفعل عوامل الطقس القاسية فتتوقف الحركة في هذه الأنهار لمدة معينة ، وخاصة نهر جيحون أحد أكبر أنهر خراسان ، و الذي ذكر القزويني في كتابه "آثار البلاد وأخبار العباد " كيفية تجمده ليصبح سطحاً واحداً رغم كثرة مائه فتعبره القوافل والعجل الموقرة بالبقر، ولا يبقى بينه وبين الأرض فرق (القزويني، د. ت، 526)، ولم يقتصر وصفه على القزويني فقط بل شاركه في الحديث عنه ابن فضلان قائلاً في رسالته مؤكداً لوصف الغرناطي:"جمد نهر جيحون من أوله إلى آخره و كان سمك الجَمْد سبعة عشر شبراً " (ابن فضلان، د. ت، 83).

وقد أشار المقدسي إلى طبيعة مناخ خراسان وتفاوته بين الحار والبارد ، مبيناً أن ملامح الفصول الأربعة واختلافها واضحة في خراسان، فمناخها يقترب من حرارة العراق واعتدال مناخ الشام ويصل إلى برودة ما وراء النهر، و أن أشد مدن خراسان برداً هي مرو وبلخ (المقدسي،1877م، 322)، وعن شدة برودة شتاء مدينة مرو تناقلت المصادر التاريخية شعراً على لسان أحد الفاتحين في العصور العربية الإسلامية الأولى يشفق فيه على حال أهل مرو واصفاً إياهم بالأسرى من شدة البرد قائلاً :

وَ أَرَى بِمْرُو الشَّاهْجَانْ تَتَكَّرَتْ ... أَرْضٌ تُتَابِعُ ثَلْجَهَا الْمَذْرُورُ

إِذْ لَا تَرَى ذَا بِزَّةٍ مَشْهُورَةٍ ... إِلَّا تَخَال بِأَنَّهُ مَقْرُورُ

كِلْتَا يَدَيْهِ لَا تُزَايِلُ ثَوْبُهُ ... كُلَّ اَلشِّتَاءِ كَأَنّهُ مأْسُورُ

(الحموي، 1977م ، مج4 ، 115) ؛ (القاضي ، 2005م ،240)

أما عبارة عدوها جاهد فيقصد منها وصف شدة أهل خراسان وبأسهم في الحروب والصراعات، وقدرتهم على إنهاك أعدائهم ، وهذا الوصف ينطبق على الكثير من الصراعات التي كانت خراسان طرف فيها أو ساحة للقتال بين خصمين خلال التاريخ العربي الإسلامي[19] (المقدسي، 1877م ، 293- 294)؛ (بيطار، 1997م، 23)؛(بوجمعة، 2003م)، وهنا لابد من الإشارة إلى أن مناخ خراسان المعتدل المتفاوت بين الحرارة والبرودة بالتأكيد كان له تأثير على ما طبع عليه أهلها من الشدة والبأس وهذا ما أقره ابن خلدون في مقدمته أثناء حديثه عن تأثير الهواء على أحوال البشر وأخلاقهم(ابن خلدون، 1984م، 123-127).

ب – خصـــائص المجتمع الخراســاني (أخـلاقه وطبائعـه):

وصفت الأخلاق بأنها عنوان الشعوب، ولأن لكل مجتمع عرف أخلاقي وقيمي متفق عليه، فقد اهتم الغرناطي بتسجيل الجانب الأخلاقي والإنساني عن أهل خراسان من خلال مشاهداته أثناء رحلته ، وتأتي أهمية الكشف عنه بهدف دراسة المعطيات الاجتماعية والتاريخية وما تضمنته من مقومات فكرية ونفسية للإنسان الخراساني.

وصف كاتب التحفة " الغرناطي " أهل **مرو** على وجه الخصوص بالبخل (الغرناطي، 1993م، 83)، وهذه العادة غير المستحبة عند الناس، فهي ليست من طبائع الكرام، و بمثابة نقيصة تنال من كبرياء الناس وأصولهم ودماثة أخلاقهم، وتحط من مصداقيتهم ومروءتهم، ثم عاد الغرناطي وحذر في موضع أخر من كتابه من هذه الخصلة الملاصقة لأهل مرو(الغرناطي، 1993م، 84).

كما تكرر هذا الوصف في فصل خصائص البلاد في الخلق والأخلاق حيث ذكر الغرناطي أن لكل بلد من البلدان ومصر من الأمصار خصلة اختص بها أهل تلك البلاد، فعد البخل طبعاً في نفوس أهل مرو وفي طينتهم ناعتاً إياهم بأبخل أهل بقاع الأرض (الغرناطي،1993م،87).

[19] - جاء في أمهات المصادر التاريخية على لسان محمد بن عبد الله العباسي في مرحلة الدعوة العباسية السرية وهو يوصي أفراد تنظيمه بما يجب عمله لبث دعوتهم المناهضة لبني أمية :" عليكم بخراسان، فإنّ هناك العدد الكثير والجلد الظاهر، وهناك صدور سليمة، وقلوب فارغة، لم تتقسّمها الأهواء ولم يتوزّعها النحل، وهم جند لهم أبدان وأجسام، ومناكب وكواهل وهامات، ولِحىً وشوارب، وأصوات هائلة، ولغات فخمة تخرج من أجواف منكرة... وبعد، فإني أتفاءل إلى المشرق، وإلى مطلع سراج الدنيا ومصباح الخلق"، وفي هذا القول إشارة إلى استغلال العباسيين لبأس أهل خراسان وشدتهم في الحروب لتشكيل أنصار وشيعة لهم يحققون من خلالهم أهدافهم السياسية.

تجدر الإشارة هنا إلى أسبقية الأديب العربي الفذ الجاحظ في التهكم والسخرية من بخل أهل مرو من خلال عرضه لعدة قصص ونوادر عن أشخاص قابلهم واصفاً بشكل هزلي وفكاهي حركاتهم ، كاشفاً لبخلهم الذي عده طبع منيع في عرقهم وبلادهم وفي جوهر مائهم (الجاحظ، د. ت،17– 28، 161، 281)، بينما أشار المقدسي إلى أن هذه المذمة التي وصُف بها أهل مرو لم تقتصر عليهم بل كانت صفة اشترك عموم أهل خراسان (المقدســـي،1877م، 258).

فهل يمكن السكون إلى وجود بلد ما طُبع أهله على طبعٍ واحدٍ أياً كان وتعميمه عليهم؟، وهل يمكن القول أن شهرة العرب بالكرم وتباهيهم بجودهم وسخائهم دفعت مؤرخيهم وجغرافييهم لمقارنة الشعوب الأخرى بأنفسهم وعاداتهم، وإن كل ما خالفها فهو نقيضها بشكل تام مضروباً به المثل، وهنا لابد من الإشارة إلى أن إلصاق صفة البخل بأهل مرو قد أغضب ابن الفقيه لذلك انبرى في كتابه " البلدان " لنفي هذه التهمة عنهم وعدها تشنيعاً من أشخاص طاعنين مستعرضاً لمواقف الخراسانيين في الكرم والسخاء(ابن الفقيه ، د.ت، 316– 317)؛ (شاكر،1978 م، 13).

تابع الغرناطي في كتابه التحفة استعراض أمهات المدن الخراسانية واصفاً طبائع أهل كل منها وأخلاقهم المتباينة بين الحميدة و المذمومة، فوصف **نيسابور** بالجفاء (الغرناطي ،1993م،83)، والمقصود بها الغلظة في طباع أهلها وصعوبة عشرتهم وقسوة معاملتهم وفظاظتها، هذا الوصف صرح الغرناطي أنه اقتبسه من الجاحظ الذي كان أول من أطلق وصف الجفاء على أهل نيسابور(ابن منظور، د.ت،مج14، 148)، وتناقله عن لسان الجاحظ لاحقاً عدد من المؤرخين كالنويري (النويري، د.ت،ج1، 344).

ومن الخصال التي استرعت انتباه الغرناطي عند حديثه عن أهل نيسابور كدليل على جفاءهم أنهم لا يكرمون الغريب ولايؤنسون القريب (الغرناطي، 1993م، 74)، وهذا القول للغرناطي يتوافق مع رأي الشاعر المرادي في نيسابور إذ قال:

لاتنزِلنَّ بنيـــــــسابورَ مغترباً .. إلا وحبلُك موصولٌ بـــسلطـانِ

أولا ، فلا أدبٌ يُغني ولا حسبٌ .. يُجدي ولاحُرمةٌ تُرعى لإنســـانِ .

وقال أيضاً: لا تنزلنَّ بنيــسابور مغترباً .. إن الغريبَ بنيســابورَ مخذولُ [20]. (الثعالبي ج، د. ت ،ج4 ، 12) .

فهل بنى أبو حامد حكمه هذا على تجربته في ترحاله فهو الغريب الدائم الذي لا انتماء كلي له في البلاد التي يرتحل إليها ؟.

وفي موضع أخر من كتابه التحفة عاد الغرناطي وحذر من شغب أهل نيسابور (الغرناطي،1993م،84)، ولعل أشهر قصص شغب أهل نيسابور في التاريخ الإسلامي هي شغبهم على البخاري (ابن خلكان،1978 م ، مج188،4-190) أحد أشهر علماء الحديث بسبب اختلافهم معه في بعض المسائل الدينية، الأمر الذي تطور إلى الإساءة إليه وتكفيره وإخراجه من نيسابور مطروداً من قبل أهلها (الذهبي، 1996م،ج12، 453-462). وعلى الرغم من جفاء أهل نيسابور وشغبهم إلا أنهم على حد وصف الغرناطي "أعقل أهل الأرض وأسراهم"(الغرناطي، 1993م ، 86)، أي أنهم امتازوا برجاحة عقلهم واتزانهم، وهنا لابد من القول أنه لم يتم التوصل إلى معنى واضح لعبارة " أسرى أهل الأرض" التي وصف الغرناطي بها أهل نيسابور ، فهل قصد الغرناطي بتلك العبارة حسن خلقهم وقوتهم تيمناً بقوله تعالى عز وجل: " نَّحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا" (القرآن الكريم، سورة الإنسان، الآية رقم "28").

أما عن مدينة **بلخ** فهي ثالث المدن الخراسانية التي ذكرها الغرناطي في كتابه التحفة مشبهاً إياها بالعراق والهند بقدمها، وتفضيل الملوك القدماء لها (الغرناطي،1993م، 73)؛ (النويري: د.ت، ج1، 337)، وبالتأكيد لم يبالغ الغرناطي في إعجابه ببلخ فهي أجل مدن خراسان.

أشار في حديثه عن بلخ إلى إحدى أشهر نواحيها وتدعى (بست) مشبهاً هواءها بهواء العراق وماءها بماء الفرات مادحاً حسنها وطيب عيش أهلها فيها وتأنقهم في مسكنهم وبنيانهم بقوله: "إن من مات ببست مغفوراً له فقد انتقل من جنة إلى جنة " (الغرناطي،1993م، 74)، أي انتقل من جنة الدنيا إلى جنة الآخرة والمأوى .

[20] - الشاعر هو أبو الحسين محمد بن محمد المرادي شاعر بخارى نزل بنيسابور لحاجة في نفسه ، فرأى من أهلها جفاء فقال فيها الأبيات السابقة.

وعن أخلاق أهل بلخ مدح الغرناطي نخوتهم واصفاً إياهم بصفة المروءة التي سبق أن أطلقها عليهم الجاحظ (الغرناطي،1993 م، 83)، وفي موضعٍ أخر من كتابه التحفة وصف الغرناطي مدينة بلخ بأخف بقاع الأرض ماء (الغرناطي، 1993م، 85-86)، فهل قصد هنا الغرناطي قلة مياه مدينة بلخ مقارنة بغيرها من المدن الخراسانية وفي الأقاليم الأخرى ؟ .

إن استطلاعاً يقوم به أي باحث في جغرافية بلخ يجد أن قول الغرناطي السابق لا يتطابق مع ما جاءت به المصادر السابقة لزمنه أو اللاحقة له، فقد أثبتت الدراسات الحديثة موقع بلخ في حوض نهر جيحون أحد أكبر أنهار آسيا الوسطى(بارتولد،1981م،161)؛(لسترنج،1985م،479)، كما أشار الجغرافيون العرب المسلمون لموقعها في وسط أراضي خراسان الشرقية مقابل نهر جيحون وابتعادها عنه نحو عشر فراسخ حتى أنه أخذ اسمها أحياناً فعرف باسم نهر بلخ ، هذا الغنى بالثروة المائية أعطى بلخ شهرة واسعة بكثرة خيراتها وغلاتها التي كانت تصدر إلى سائر الأنحاء(ابن الفقيه، د.ت ، 324)، الأمر الذي دفع أحدهم إلى وصفها قائلاً:" انظر إلى بهاء بلخ وحسن موقعها وسعة طرقها وبهجة شوارعها وكثرة أنهارها والتفاف شجرها وصفاء مائها وإشراق قصورها وسور مدينتها ومسجد جامعها وإحكام صنعته وجلالة موضعه ليس بأقاليم العجم مثلها حسناً ويساراً ، يحمل من غلاتها في كل سنة مال عظيم إلى خزانة السلطان"(المقدسي،1877م، 302).

ومن الجدير بالذكر أنه عند الحديث عن بلخ يجب الإشارة إلى ما ذكره الغرناطي عن انتشار مرض القروح البلخية فيها (الغرناطي،1993م،82)، وهو عبارة عن قروح منبسطة في اللحم مع بثور إذا نضجت صار لها رؤوس كثيرة يخرج منها القيح والسيلان والصديد، وهي متولدة من عض البلخ من بلاد خراسان ولذا سميت بها (زكور، 2018 م، 102)،ويمكن القول أن مرض القروح البلخية بلغة علم الطب اليوم هو ذاته مرض اللاشمانيا المعروف باسم حبة حلب[21] (القحطاني، 2009م، 201).

[21] - اللاشمانيا : قرحة تترك لدى المصاب بها أثراً وعلامة مميزة تبقى في مكان ظاهر من جسمه طيلة حياته ، سببها نوع من ذباب الرمل وهو حشرة صغيرة تنقل المرض لشخص سليم عن طريق لسعه دون أن يشعر بها فتنقل لدمه طفيلي اللاشمانيا الحاملة له من مص دم حيوان كالكلاب والقوارض ، تصيب اللاشمانيا المواضع المكشوفة من جسم الإنسان كالوجه والعنق والذراعين والساقين تعرف بعدة أسماء في بعض البلدان فيطلق عليها اسم حبة حلب وحبة بلخ وحبة بغداد أو الأخت أو الآكلة .

كما خص الغرناطي **هـراة** رابع المدن الخراسانية بمديحه فوصفها بالحسن (الغرناطي، 1993م، 83)، وهذا ما أكد عليه الحموي لاحقاً مثنياً على حسنها مبرزاً مزاياها إذ قال فيها: " هراة لا أجل ولا أعظم ولا أفخم ولا أحسن ولا أكثر أهلاً منها"(الحمـوي، 1977م، مج5، 396)، غير أن أهل هراة لم يسلموا من نقد الغرناطي اللاذع إذ حذر في موضع أخر من تحفته من حسدهم وبغضهم للنعمة لغيرهم مقتبساً هذا النعت من الجاحظ (الغرناطي، 1993م، 85).

كما خرج الغرناطي عن حدود لباقة العالم الجغرافي الأديب وظرافته بنعته لأهل هراة بالسفلة (الغرناطي، 1993م،87) ،فما هو التصرف الذي جعله يحكم على أهل مدينة كاملة بهذه الصفة المذمومة ؟، إذ لابد أن حدثاً ما آثر على شخصه أو أمر جرى لأحد أفراد أسرته دفعه للحديث عن أهل هراة بهذه الصفة السيئة، ولعل أشهر من نفى هذه التهمة عن أهل هراة الرحالة ابن بطوطة الذي وصفها بعد زيارته لها بالمدينة العامرة الطاهرة من الفساد، أهلها ذو صلاح وعفاف وديانة (ابن بطوطة، 1987م، ج1، 388).

يلاحظ مما سبق أن تحفة الألباب عبارة عن سجل حمل انطباعات أبو حامد الغرناطي الشخصية من سنوات تجواله ، جمع فيه آراء المؤرخين ممن سبقوه خلال وصفه لأهل خراسان وطباعهم مكتفياً بإظهار مثالبهم كالبخل والسفالة والجفاء إلى جانب مناقبهم كالحسن والمروءة مضيفاً لذلك آرائه الخاصة التي نجحت تارة وأخفقت تارة أخرى ، دون الحديث عن فئات المجتمع الخراساني وإهماله لوصف لباسهم وطعامهم وعاداتهم الاجتماعية كالأفراح والأحزان وغيرها من الجوانب الاجتماعية التي تثير فضول الرحالة في غالب الأحيان، وهذا ما يجعل ملاحظاته سطحية لا تقارب حقيقة المجتمع الخراساني ويصعب معها اختزال جوهره .

ج- أشهر الأضرحة والمزارات في خراسان:

تناول الغرناطي في أحد فصول كتابه التحفة عدة قصص تحت عنوان " في صفات الحفائر والقبور " وهي حكايات ذات طابع ديني عن قبور تم الكشف عن هوية أصحابها في البلدان التي زارها الغرناطي ، وقد أحيطت هذه الحكايات بالكثير من الغموض يصعب معه الجزم بصحتها مما جعلها ضرباً من الأساطير والخيال ، ومن الحكايات التي أوردها الغرناطي في تحفته حكاية

عجيبة عن ظهور مدفن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في عهد السلطان سنجر السلجوقي[22] (ابن خلكان، 1978، مج2، 427- 428)بعد عام 530هـ/1135م في ناحية بلخ الخراسانية في قرية يقال لها الخير [23] (لسترنج، 1985م،465) وإقامة مشهد معظم له في ذلك الموضع (الغرناطي، 1993م، 162- 165).

ومما جاء في رواية الغرناطي أن شخصاً من أهل قرية الخير قد رأى في منامه الرسول الكريم (ص) قال له أن ابن عمه الإمام علي بن أبي طالب مدفونٌ في موضع قريب من القرية، وتابع الغرناطي أخبار هذه الرؤيا فقال أنها لم تقف عند شخص واحد بل تواترت وكثر من رأها في منامه من أهل القرية حتى بلغ عددهم حوالي 400 شخص (الغرناطي،1993م، 163).

انتشر الخبر في بلخ التي كانت تحت إمرة الأمير قماج[24] (الراوندي،2005م، 268-271)، فما كان من أصحاب الرؤى من قرية الخير إلا أن توجهوا إليه وحدثوه بما رأوا ، فغلبت الحيرة على الأمير قماج فسارع بجمع عدد من العلماء والفقهاء وأخبرهم القصة وطلب مشورتهم.

شكك العلماء المجتمعون لدى الأمير قماج بصحة الرؤيا فهي بنظرهم ضربٌ من المحال لمعرفتهم بالروايات المتواترة حول قصة استشهاد الإمام علي في الكوفة[25] (البلاذري،1987م،387)؛ (الحموي،1977م، مج4،490) ودفنه هناك مع اختلافهم بتحديد

[22]- السلطان سنجرأبو الحارث بن ملكشاه بن ألب أرسلان هو السلطان السادس لدولة السلاجقة وآخر السلاجقة العظام، تولى الإمارة على خراسان سنة 490هـ / 1096م نيابة عن إخوته السلاطين (بركياروق ومحمد) ثم انفرد بعرش السلطنة السلجوقية ولقب بالسلطان الأعظم سنة 514هـ / 1119م ،قاد حروباً كثيرة على عدة جبهات و أدار دفة الحكم لأكثر من ستين سنة، قضى اثنتين وعشرين منها ملكاً على خراسان، وأربعين منها سلطاناً على السلاجقة حتى وفاته سنة552هـ / 1157م .

[23] - قرية الخير تسمى خواجة خيران تبعد عن بلخ ثلاثة فراسخ، واليوم هي مركز ولاية مزار شريف شمال أفغانستان.

[24] - الأميرقماج هو أحد كبار أمراء جيش السلطان سنجر السلجوقي ونائبه على بلخ ، له دور بارز في صراع السلاجقة مع قبائل الغز التي كانت تسكن في بداية أمرها بالقرب من بلخ دخل معهم في صراع على مناطق تواجدهم ورعي مواشيهم ثم تطور هذا الصراع إلى حرب بينهما قتل فيها ابن قماج ، مما دفعه للجوء إلى السلطان سنجر السلجوقي في مرو لوضع حد لقوة قبائل الغز فما كان من سنجر بعد أن أخفق في استمالتهم بالطرق السلمية إلا أن دخل معهم في حرب انتهت بهزيمته وأسره ومقتل العديد من أمراء جيشه منهم الأمير قماج 548هـ / 1153م.

[25] - الكوفة :بلد مشهور بأرض سواد العراق ، سميت بذلك لاستدارتها، تم تمصيرها في عهد الخليفة عمر بن الخطاب سنة 17هـ/ 638م.

المكان بصورة دقيقة، لكنهم أكدوا أنه ليس ببلخ فكيف جيء بجثمانه الطاهر إلى بلخ مسيرة ألف فرسخ عن الكوفة؟[26] (الأصفهاني،1995م،43)؛ (ابن الأثير،1987م، مج3، 254)؛ (القزويني،1980 م، 562– 563).

تابع الغرناطي سرد روايته العجيبة قائلاً: " انصرف الناس فلما كان نصف الليل خرج الفقيه –أحد الفقهاء من الذين أنكروا الرؤيا أمام الأمير قماج– من داره ومعه أولاده وأصحابه وهو يصيح إلى أن جاء إلى دار الأمير قماج وهو يستغيث"، فأمر قماج بإدخاله عليه ليعرف ما أصابه.

ويتابع الغرناطي الرواية بقوله أن الرجل ظهر بوجهٍ أسودٍ وقد بدت على جميع جسده آثار ضربٍ ولطمٍ ولكمٍ ، فلما سُئل عنها قال أنه جاءه في منامه جماعة من أنصار ومحبي الإمام علي يتهمونه بتكذيب الرؤية الأولى وقول الرسول الكريم (ص) بوجود قبر الإمام علي في بلخ ، ثم أخذوه إلى قبرٍ مفتوحٍ ، فرأى فيه شخصاً أبيض الرأس واللحية أخبروه أن هذا الشخص هو الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ثم بدأوا بضربه حتى تدخل الإمام وتشفع له فتركوه، فاستيقظ الفقيه من منامه وهو يشعر أن أعضائه مكسورة، وهذه الرؤية دفعته للقدوم لقماج والتراجع عن تكذيبه للرؤية الأولى وطلب التوبة.

وقف الأمير قماج حائراً ماذا يفعل أمام هذه القصة ، فما كان منه إلا أن جمع جنده وسار إلى قرية الخير، وأمر بحفر الموضع المشار إليه بالرؤى ، فوجدوا قبراً عليه لوحين رخاميين في داخله جسد الإمام علي مسجى لم يبلى ولم يتلاشى منه شيء ، والكفن مازال كما هو صحيح.

وأثبت الغرناطي في روايته أن الأمير قماج وحشد من العلماء قد شهدوا على هذه الحادثة كما أنهم عثروا على حجرٍ أحمرٍ من اللبن مكتوب عليه كما يبدو بواسطة إصبع يد أحدهم " هذا محب النبي كرم الله وجهه".

[26] - تثبت المصادر التاريخية استشهاد الإمام علي بن أبي طالب في الكوفة في شهر رمضان سنة 40هـ / 660م بعد قيام الخارجي عبد الرحمن بن ملجم بتربص مجيئه لصلاة الصبح في مسجد الكوفة ،و في أثناء الصلاة وبينما كان الإمام ساجداً تقدم ابن ملجم وضربه بسيفٍ مسمومٍ على رأسه ، فسالت الدماء على لحيته، وكان الإمام علي يقول :(ما يمنع أشقاكم أن يخضب هذه من هذه) يعني لحيته من دم رأسه.

وتكريساً لذلك أمر السلطان سنجر السلجوقي ببناء مرقدٍ صغيرٍ حول هذا الضريح في قرية الخير، وقد شهد الغرناطي بعظمة ذاك المشهد حتى أنه يضاهي ببهائه مشهد الإمام علي في الكوفة، وأصبح قبلة للزوار من جميع نواحي بلخ وبلاد خراسان عامة وسمرقند[27] (القزويني، د.ت ،535)؛ (الحموي: معجم البلدان،1977م، مج3، 246-250)؛ (لسترنج، 1985م، 506-508).

وغيرها، أما اللبنة الحمراء التي عثر عليها فتم وضعها في كيسٍ من الديباج[28](ابن منظور، د.ت، مج2، 262) وعلقت في محراب المشهد، وقد أشار الغرناطي في ختام روايته أنه عاصر أصحاب الرؤى الذين كانوا وراء الكشف عن قبر الإمام علي في قرية الخير، وأنهم كانوا ما زالوا على قيد الحياة عند تسجيل روايته المذكورة آنفاً (الغرناطي،1993م،163-165).

إن التصديق بصحة حكاية الغرناطي ومشاهدته لآثار المرقد والأشخاص الذين شهدوا على الحادثة ينفي الاعتقاد السائد والمتعارف عليه بوجود مرقد الإمام علي في النجف الأشرف[29] (الحموي: معجم البلدان،1977م، مج5،271) في العراق، ولمناقشة صوابية هذه الرواية من عدمها من الناحية التاريخية سيتم استعراض آراء مجموعة من المؤرخين وتفنيدها للتحقق من رواية الغرناطي.

يعتقد أهل ولاية بلخ الواقعة شمال جمهورية أفغانستان اليوم بصحة وجود مرقد الإمام علي كرم الله وجهه في مدينتهم وتحديداً في مسجد تاريخي عظيم يسمى المسجد الأزرق في مدينة مزار شريف "يعني اسمها الضريح المقدس"(لسترنج، 1985م، 465)، وتتردد على ألسنتهم وللأسف معهم بعض المؤرخين روايات مختلفة عن هذا المرقد توافق رواية الغرناطي في كون هذا الموضع هو مرقد الإمام علي، بعض هذه الروايات يعد ضرباً من الخيال كالقول بأن جثمان الإمام علي وضع على ناقة بيضاء سارت به من مدينة الكوفة التي شهدت استشهاده إلى أن حطت رحالها في المكان الذي يعرف اليوم باسم " مزار شريف " !!!!!

---

[27] - سمرقند مدينة جليلة تقع جنوب إقليم وادي الصغد وعاصمته ، على مسافة 150ميل شرق بخارى،كانت تتبع إدارياً في العصور الإسلامية لبلاد ما وراء النهر (اليوم تقع في جمهورية أوزبكستان).

[28] - الديباج كلمة فارسية معربة وهي ضرب من الثياب المتخذة من الابريسم مشتق من دبج ، ويقصد بها النقش والتزيين ، وقيل أن أقمشة الديباج هي نسيج حريري موشى بالقصب بأشكال الحيوانات ونحوها.

[29] - النجف موضع بظهر الكوفة كالمسناة تمنع مسيل الماء أن يعلو الكوفة ، بالقرب من هذا الموضع قبر الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

يتناقلون أيضاً حكاية أخرى تقول بصحة رواية الغرناطي فتشير إلى أن الإمام "جعفر الصادق"[30](ابن خلكان،1978، مج1،327) طلب من "أبو مسلم الخراساني"[31] (البلاذري،1998م، ج3، 93، 133، 235)؛ نقل جثمان الإمام علي من موقعه الذي كان سرياً في الكوفة إلى مكان آخر للحفاظ عليه من العبث والنبش من قبل أعداء الإمام في ذلك الوقت، وتم ذلك الأمر بالفعل ودفن الجثمان في " قرية الخير في بلخ"، وبقي مدفوناً سراً هناك حتى اكتشافه عام 530 هـ/ 1135م عندما أمر السلطان سنجر السلجوقي ببناء مرقد صغير حول الضريح (ثويني، 2019م ،219–220) كما جاء في رواية الغرناطي.

وعن صحة هذه الرواية العبثية فمن الثابت في المصادر التاريخية الموثوقة أن الإمام جعفر الصادق لم تجمعه أي علاقة بأبي مسلم الخراساني، بل أكثر من ذلك هناك تصريح واضح منسوب للإمام الصادق نفسه قال فيه: "ما لي ولأبي مسلم الخراساني لا الرجل من رجالي ولا الزمان زماني"، وذلك في رده على عرض أبي مسلم في تحويل دعوته المناهضة للحكم الأموي للعلويين بدل العباسيين[32](الشهرستاني، 1968م، ج1، ص154)،إذن فمن غير المنطقي أن يأتمن الإمام الصادق أبو مسلم على جثمان جده الإمام علي وهو شيعة للعباسيين قائمٌ بأمر دعوتهم.

إذن يجب التساؤل إثر استعراض رواية الغرناطي والروايات الموافقة والمخالفة له أين هي الحقيقة ومن هو صاحب المزار في بلخ؟.

---

[30]- الإمام جعفر الصادق هو جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، أبو عبد الله المعروف بالإمام الصادق لصدق قوله ،أحد الأئمة الاثنا عشر ، أمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، مولده سنة 80هـ/699م ، توفي سنة 148هـ/ 765م ودفن بالبقيع .

[31] - أبو مسلم الخراساني أحد كبار قادة الثورة العباسية ودعاتها ، تعددت الروايات التاريخية التي تحدثت عن أصل أبي مسلم الخراساني والراجح أنه فارسي الأصل كوفي المربى، وقيل : إنه ادّعى النسب العربي وإنه ابن سليط بن عبد الله بن عباس، وقيل أن اسمه إبراهيم بن حيكان أو جيكان ، ولما بعثه إبراهيم الإمام إلى خراسان للقيام بأمر الدعوة العباسية قال له: غير اسمك وكنيتك، فتسمى عبد الرحمن بن مسلم، و اكتنى بأبي مسلم ، له أثر بالغ في قيام الدولة العباسية وتثبيت أركانها ، حدث خلاف شديد بينه وبين الخليفة العباسي الثاني أبو جعفر المنصور الذي أمر بقتله سنة 137هـ/ 755م.

[32] - أثبت الشهرستاني - دون غيره من المصادر التاريخية - محاولة أبو مسلم الخراساني تحويل الخلافة للعلويين في الأشهر الأولى من نجاح الانقلاب العباسي على الأمويين وتأسيس الدولة العباسية ومبايعة أبو العباس السفاح كأول خلفائها في الكوفة ، دون أن يعلل أو يفسر سبب هذا التغير المفاجئ لدى أبو مسلم مع ما عرف عنه من ولائه وإخلاصه للعباسيين فهو صنيعتهم ، ويتابع الشهرستاني أن الإمام الصادق لم تكن تجمعه بأبي مسلم أي علاقة ولم يلتقيا سوى لقاء واحد لم يتعارفا بشكل مباشر أثناءه ، هذا الأمر دفع الإمام الصادق إلى رفض دعوة أبو مسلم السابقة قائلاً :"ما أنت من رجالي ولا الزمان زماني " .

بعد التقصي والبحث في المصادر تم العثور في كتاب (عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب) لصاحبه ابن عنب النسابة على معلومة تفيد أن صاحب المزار المعروف ببلخ هو لأحد أحفاد الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب ممن ملكوا في بلاد خراسان وكانوا أمراء ونقباء في بلخ، و اسمه الكامل هو (أبو الحسن علي بن أبي طالب بن عبيد الله بن علي بن الحسن بن الحسين بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين الأصغر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب) ، وبعد وفاة هذا النقيب دفن بقرية الخير البلخية وكتب لقبه واسمه وكنيته المشابهة للإمام علي كرم الله وجهه على الصخرة التي وضعت على قبره والذي أصبح مقصداً للزائرين[33] (الباخرزي، 1930م، 147-148)؛ (ابن عنبة،1961م، 331)؛ (الحديثي، 1988 م).

وهكذا يُرى أن الاشتراك والتشابه الواضح بين لقب النقيب أبي الحسن البلخي و بين لقب الإمام علي كرم الله وجهه والكنية والاسم واسم الأب هو الذي أوجب وجود الشبهة لدى عامة الناس وربما بفعل عوامل الزمن صعبت قراءة الاسم المكتوب على الصخرة كاملاً وفتحت مجالاً لنسج الأساطير حول نقل رفات الإمام علي إلى بلخ، دون الجزم أن يكون هذا الأمر بفعل بشر حركتهم نوازع مادية ومصالح اقتصادية فأسبغوا على هذا الضريح هذه المكانة السامية لغاية الجذب والتفاخر والحضور المدر للمال يمكن حتى أن يستثمر في مجال السياسة.

وبهذا يكون البحث قد جهد في توضيح قصة هذا الضريح الموجود في مزار شريف في أفغانستان والذي ورد ذكره في تحفة الغرناطي كمحاولة لإزالة الوهم الناشئ عن هذا الاشتباه، وهنا يجب التساؤل هل تدوين الغرناطي لهذه الرواية الدينية دون التحقق من صحتها يعد إشارة إلى تأثر كتاباته بالآراء الدينية السائدة في عصره، وإثباتاً منه أن السلاجقة على الرغم من خلافهم العقائدي

[33] - تجدر الإشارة هنا إلى أن ابن عنبة لم يحدد عام وفاة النقيب أبي الحسن علي بن أبي طالب البلخي ، لكن من خلال البحث تم التوصل إلى معلومة موثقة في بحث لقحطان الحديثي بعنوان "أبو الحسن البلخي" ، وأشارت هذه المعلومة إلى أن النقيب أبو الحسن علي بن أبي طالب البلخي متوفى سنة 485هـ / 1092م وأنه كان من رجال الدولة السلجوقية في زمن السلاطين ألب أرسلان وابن ملكشاه ووزيرهما نظام الملك ، عمل أستاذاً للفقه الحنفي والشافعي في المدرسة النظامية ببغداد ، أيضاً جاء ذكر هذا النقيب واسمه ونسبه وبعض من شعره في كتاب " دمية القصر وعصرة أهل العصر" وغيرها من الأبحاث.

مع القوى الشيعية المنتشرة في العالم العربي والإسلامي في زمنهم (فاطميين– إسماعيليين) إلا أنهم أظهروا احتراماً لآل البيت النبوي " سلالة الإمام علي كرم الله وجهه " وشيدوا الأضرحة الدينية التي أصبحت معلماً أثرياً وتاريخياً ؟؟.

د– الجوانب الاقتصادية:

أبدى أبو حامد الغرناطي في كتابه "تحفة الألباب ونخبة الإعجاب" عناية بذكر عدة نقاط عن إقليم خراسان من الجانب الاقتصادي بمختلف نواحيه، مقدماً معلومات تاريخية قيمة عن بعض محاصيل خراسان الزراعية وثروتها الحيوانية، كما ذكر شهرتها بالصناعات النسيجية، بالإضافة لغناها بالأحجار ذات القيمة الاقتصادية الكريمة منها أو العادية، ومن المعطيات التي أوردها الغرناطي في هذا الجانب ذُكر:

1– الأشجار المثمرة والفواكه:

اشتهرت خراسان بالبساتين العامرة في كل مكان وتنوعت أشجارها المثمرة وبلغت شهرة فواكهها شهرة فائقة وقامت عليها العديد من الصناعات الغذائية، ويستدل على كثرة خيراتها ومحاصيلها الزراعية على حد قول أحد اللغويين باسمها الفارسي المؤلف من مقطعين (خُر بمعنى كُل) و(آسان بمعنى سهل أو بلا تعب) الأتي من طبيعتها الاقتصادية (الجواليقي، 1990م، 284).

ومن الفاكهة الخراسانية التي استرعت انتباه الغرناطي القشمش الذي انتشرت زراعته في مدينة هراة فكانت مضرباً للمثل في كثرة قشمشها وجودته (الغرناطي، 1993م، 82)، فصدر منها إلى سائر البلدان (ابن حوقل، 1992م، 367)، وقد أشار ابن البيطار أن القشمش لفظة فارسية تعريبها كشمش وهو زبيب صغير لا نوى له أصغره كحبيبات الفلفل وأكبره كحبات الحمص يوجد بشكل عناقيد طوال، تتعدد ألوانه وتختلف تبعاً لطريقة تحويله لزبيب فما وضع منه في الشمس جاء لونه أحمر ، وما علق تعليقاً حتى يصبح زبيباً لونه يكون أخضر، وما نشر في البيوت في الظل يصبح أصفر ، يمتاز القشمش بحلاوته القوية وشدة حمرته، يتخذ منه الشراب والدبس وينفع به السعال والصدر والإمساك (ابن البيطار، 1992م،ج3، 335)، وقيل في وصف القشمش:

قَشْـــمَـــشٌ كَخَـــرَزٍ . . . مُنَـظَّم لَـــمْ يَثْقُـبِ

يُجْلَى بِهِ اَلْكَأْسُ لِمَا . . . بَيْنَهُمَا مِنْ نِسَـــــــبِ

كَـــأَنَّـــــهُ أَوْعِـــيَـــةٌ . . . يَحْمِلْنَ ذَوَّبَ اَلْعِنَبِ

أَوْ لُـــؤْلُؤٌ قَدْ عَلَّ أَعْلَاهُ . . . بِـــمَـــاءِ اَلـــذَّهَـبِ

خُصَّتْ بِهِ هَرَاة فَاخْتَصَّتْ . . بِأَعْلـــــَى اَلرُّتَـــبِ (الثعالبي أ ، د.ت ، 541) .

ومن الفواكه الخراسانية الأخرى التي ورد ذكرها في تحفة الألباب المشمش التي ذاعت شهرة طوس "أحد نواحي نيسابور" بها (الغرناطي،1993م،82) كما عرفت بلدة بست بإجاصها الذي لايوجد مثله في غيرها(الغرناطي، 1993م،81)؛ (النويري د.ت، ج1، 344)، أما السفرجل فقد اختصت نيسابور بإنتاجه حتى قيل أنه لا يرى مثله إلا فيها (الغرناطي، 1993م، 81).

ومن المؤكد أن خيرات خراسان من الفواكه والأشجار المثمرة لم تقتصر على ما ذكره الغرناطي ، إلا أنه يمكن القول أنه قد استعرض في تحفته وثبت أجود وأشهر الأنواع التي ذاعت بها شهرة خراسان .

2- الثروة الحيوانية:

زخرت خراسان بتنوع مناخي وبيئي وضمت بين ربوعها إلى جانب الأراضي الزراعية الكثير من المراعي، ترتب على ذلك ازدهار ثروتها الحيوانية وتنوع توزيعها في مختلف المدن الخراسانية فالأعشاب والحشائش التي امتازت بها أراضي خراسان قد هيأت المراعي المناسبة للحيوانات على اختلاف أنواعها، وقد عدت الثروة الحيوانية مصدر اقتصادي حيوي مهم لا غنى عنها لأهالي خراسان وذلك لتعدد أغراضها واستخداماتها في حياتهم (المقدسي،1877م، 326)؛ (لسترنج،1985م،)؛ (الوزنة،2007 م، 99).

وعلى الرغم من هذا التنوع والغنى الذي تمتع به مراعي خراسان، إلا أن الغرناطي اقتصر في كتابه التحفة في فصل صغير بعنوان خصائص البلاد في الأوبار على ذكر اهتمام أهالي هراة بتربية نوع محدد من الطيور هي الحواصل دون تبيان فوائد تربيته (الغرناطي،1993م،81)، (القزويني، د.ت، 481)؛ (النويري، د.ت، ج1، 343)،ومن خلال البحث عن هذا النوع من الطيور تم

العثور على إشارة أوردها الثعالبي بين فيها تفوق النوع الهروي من الحواصل على النوع الأبسكوني[34] (الحموي،1977م، مج1، 49، 73) والمصري منها(الثعالبي أ، د.ت ، 542)،أما السيوطي فقد وضح أن الحوصل عبارة عن طائر كبير له حوصلة عظيمة يتخذ منه الفرو ويعمل منه الخفاف الناعمة وفرائه الأبيض يقوم مقام الفنك[35] (ابن منظور، د.ت، مج480،10)؛ (مجموعة من المؤلفين،1998م،703)؛ (مؤنس،1980م،142) في لينه ورقته (الثعالبي ب، د.ت،132)؛(الغرناطي،1993م،81)؛ (القزويني، د.ت،481)؛ (النويري، د.ت،ج1 ،343)؛ (السيوطي،1968،ج2، 327).

مما تقدم نتبين عدم اهتمام الغرناطي بتسجيل مشاهداته عن الثروة الحيوانية في خراسان والتي تمتعت بالغنى وفق إجماع الجغرافيين والرحالة الذين تقدم ذكرهم ، وليس لذلك تسويغ غير أنه ربما لم يشاهد ما يثير فضوله وهو المعروف بميله لتسجيل المشاهدات الغريبة.

3- الصناعة النسيجة:

ازدهرت الصناعات في خراسان في ظل الحكم السلجوقي ومن أشهرها صناعة النسيج التي بلغت درجة عالية من الدقة والإتقان، حتى أنه يمكن القول بأن هذا العصر كان بمثابة بداية لنهضة في صناعة النسيج في خراسان لاسيما في مدينة مرو (حلمي، 1975م، 243-245)؛ (الوزنة، 2007م ،101)، ولأن لكل صناعة موادها الأولية فقد أشارت المصادر التاريخية إلى توافر الصوف الذي يعد أقدم مادة نسيجية على الإطلاق في الكثير من مناطق خراسان نتيجة لانتشار تربية الأغنام فيها على نطاق واسع ، إلى جانب تعدد الزراعات النسيجية (القطن والكتان)، مع كثرة الحرير بها نتيجة لوجود أشجار التوت وتربية دودة القز (عبدالله ،1999م،41- 46)، كل هذه المواد النسيجية شكلت ركائز رئيسة كافية لظهور صناعة نسيج مزدهرة في خراسان، وقد

---

[34] – الآبسكوني نسبة إلى آبسكون بلدة على ساحل بحر طبرستان على مسافة من مدينة جرجان وهي فُرضة(مرفأ صغير)للسفن والمراكب.

[35] – الفنك حيوان يُفترى جلده أي يُلبس فروا ، وهو يشبه الثعلب ، تعد فروته أجود أنواع الفراء ، وهنا لابد من الإشارة إلى خطأ وقع به الدكتور حسين مؤنس في كتابه (ابن بطوطة ورحلاته تحقيق ودراسة وتحليل)عندما عد حيوان الفنك (المعروف بثعلب الصحراء أو الحصيني)هو ذاته الفقمة (كلب البحر)شارحاً عن فرائها الأبيض الناعم عندما تكون صغيرة وطريقة اصطيادها وسلخ جلودها لبيعها بأغلى الأثمان قائلاً أن فرو الفقمة عرف في العصور الوسطى في النصوص التاريخية العربية بالفنك وهذا يخالف الصواب فهما حيوانان مختلفان بالفصيلة والبيئة يصعب الخلط بينهما.

أشار الغرناطي في كتابه التحفة إلى " الملحم المروي "(الغرناطي، 1993م،80-81)، أحد أشهر الأنسجة التي اشتهرت بها مدينة مرو الخراسانية واختصت بها وهو نسيج خليط تكون سداه من القطن أو الصوف ولحمته من الحرير(المقدسي،1877م،324)؛ (إبراهيم، 2002م،453- 454)، وقد سبقه المسعودي في ذكر شهرة مرو بهذا النسيج حيث جاء في كتابه مروج الذهب أبيات ورد فيها ذكر الملحم وذلك في قوله:

بـرودٌ مــن القـَصَـبِ مَوْشـِيَّـةٌ ... وأكــسـيةُ الـخَـزِّ والـمـُلـْحَـمِ (المسعودي،2005م،ج4 ،279).

4- الأحجار:

أورد الغرناطي في كتابه " تحفة الألباب " نوعان من الأحجار وأماكن تواجد كل منها في المدن الخراسانية، هي كالتالي:

أ- الأحجـار الكـريـمـة:

عدت عادة اقتناء الأحجار الكريمة جزء من الثقافة والتراث العربي الإسلامي شهدتها مختلف العصور العربية الإسلامية بما فيها العصر السلجوقي الذي وجه سلاطينه عناية خاصة لاستغلال هذه الثروة لاستخدامها في ملابسهم وحليهم (حسن،2013م،83-85)، وقد ذخرت خراسان بوفرة الأحجار الكريمة وتنوعها وتعدد مناجمها، وقد اشتهرت نيسابور بأنها أكثر المدن الخراسانية وأحسنها أرضاً لاستخراج المعادن بما فيها الأحجار الكريمة (ابن الفقيه، د.ت، 227)، ولعل أشهر هذه الأحجار على الإطلاق حجر **الفيروزج** جاء على ذكره الغرناطي في كتابه "التحفة" عند الحديث عن خصائص البلدان في الأحجار والجواهر، ويعد أبرز الأحجار النفيسة وجد في نيسابور ولم يوجد في غيرها (المقدسي،1877م،336)؛ (الغرناطي،1993 م،79)،وهو حجر كريم غير شفاف معروف بلونه الأزرق المائل إلى الخضرة قليلاً (مجموعة من المؤلفين،1998م،708)، ولا يتغير شكله إذا وضع في الماء الحار ويقال إن له خاصية في تقوية القلب بالنظر إليه، وقد ذاعت شهرته، وكان له أفضلية عند الملوك، وقيل في وصف روعته :

يَا مِنْ بِطَلْعَتِهِ اَلْهِلَالَ تَهَلُّلاً . . . وَرَآهُ مِنْ جَحَدَ اَلْإِلَهُ فَهَلَّلَا

فِيرُوزْجَا أَهْدَيْـــتُــهُ مُتَبَرِّكًا . . . لَكَ بِاسْمِهِ مُتَيَمِّنًا مُتَفَائِلاً (الثعالبي أ، د.ت ، 540) .

أما مدينة بلخ فقد اشتهرت بنوع أخر من الأحجار الكريمة أشار إليه الغرناطي ويعرف بحجر **البجاذي**(الغرناطي، 1993م، 79)، وهو حجر أحمر خمري كالياقوت يعلوه لون بنفسجي ذاعت شهرتها في بلخ (البيروني ، 1900م ،88).

ب- الأحجار العادية:

أشار الغرناطي إلى شهرة طوس (أحد نواحي نيسابور) بحجارتها اللينة التي دخلت في صناعة القدور والأواني كالأقداح والكيزان وغيرها مشبهاً إياها من شدة طراوتها ورقتها بالزجاج (الغرناطي، 1993م،74)، ولعل حجر السبج حسب رأي الثعالبي أشهر حجارة طوس اشتهرت به وذاع صيته وصُدر منه لسائر البلدان (الثعالبي أ، د.ت ،541)؛ (النويري، د.ت، ج1 ،337).

❖ **خاتمة:**

كانت خراسان إحدى محطات الرحالة الأندلسي أبو حامد الغرناطي ، وقد أماط في كتابه "تحفة الألباب ونخبة الإعجاب" اللثام عن مشاهداته في هذا الإقليم والتي رصدت عدة جوانب عن جغرافية خراسان وعن بعض أحوالها الاجتماعية والاقتصادية في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي ومن خلال دراستها وتحليلها تم التوصل إلى نتائج عدة لعل أبرزها:

1-لوحظ من خلال دراسة أحوال خراسان عامة لدى الغرناطي أنها جاءت متوافقة مع ما جاء في المصادر التاريخية والجغرافية من معلومات عن هذا الإقليم، مما يؤكد اعتماد الغرناطي في وصف أحوال خراسان على ما قدمه الجغرافيون والمؤرخون الذين سبقوه دون ذكر لمصادره مما يجعل من رحلة الغرناطي المدونة في كتاب " تحفة الألباب ونخبة الإعجاب " أقرب إلى وصف المذكرات من كونها مصدر من مصادر التأريخ للبلدان التي زارها بما فيها خراسان، ولا ترق بقيمتها العلمية إلى رحلات الجغرافيين والرحالة الآخرين إلى خراسان، دون النكران أنه امتاز بأسلوب سردي ممتع في تدوين ملاحظاته ومشاهداته حقق له شخصية جغرافية فريدة.

2-كشف الغرناطي عن بعض العادات والتقاليد الراسخة في المجتمع الخراساني وإن كان بعضها غير محمود وذكرها لا يعبر عن موضوعية الغرناطي، إلا أن مشاهداته بلا شك تعد مساهمة في تكوين علم الجغرافية الاجتماعية السلوكية.

3-استعرضت الدراسة إحدى أشهر الروايات العجيبة التي تضمنتها تحفة الغرناطي والتي تتحدث عن وجود قبر الإمام علي كرم الله وجهه في مدينة بلخ الخراسانية والتي توضح أن ملكة النقد للأخبار لم تكن واسعة لدى الغرناطي فهو لم يكلف نفسه بوصفه الجغرافي ذو البصيرة المعرفية مناقشتها فقد كان حرياً به تكذيبها، لذا يصعب الوثوق والتصديق بما أورده عند حديثه عن القبور بشكل عام في رحلاته، والقول أن ما جاء في كتاب التحفة في هذا المجال يندرج تحت عنوان القصص و الحكايات.

4-اتسمت خراسان في العصر السلجوقي- العصر الذي عاش فيه الغرناطي في المشرق العربي والإسلامي- بتنوع اقتصادها، فقد كشف الغرناطي عن ازدهار العديد من المنتجات الزراعية فيها إلى جانب تقدم الصناعة الخراسانية بمختلف أشكالها النسيجية والمعدنية.

5-ساهم الغرناطي من خلال مشاهداته التي أوردها عن خراسان وغيرها من البلاد التي زارها في ترحاله الطويل بتأسيس ما يعرف بالأدب الجغرافي التي تمتزج فيه الحقيقة بتخيلات المؤلف وآرائه وتصوراته.

وفي الختام لابد من القول أن أبو حامد الغرناطي هو أحد أهم الجغرافيين الأندلسيين في العصور الوسطى، سجل في كتابه" تحفة الألباب ونخبة الإعجاب" وهو على مشارف عامه الثمانين خلاصة أكثر من نصف قرن من الترحال والتجوال في بلدان العالم كان لخراسان نصيب فيها، فكان بحق ذو همة عالية وروح مغامرة فضولية راغبة في الاطلاع اجتهد فأصاب وقدم لقرائه المعلومة والمتعة في آن واحد.

التمويل:
هذا البحث ممول من جامعة دمشق وفق رقم التمويل (501100020595).

Funding:
This research is funded by Damascus university – funder No. (501100020595).

المراجع:

1- ابن الأثير، علي بن محمد ، ت 630 هـ /1232م، 1987م، الكامل في التاريخ ، ط1 ، دار الكتب العلمية، 505.

2- الاصطخري، إبراهيم بن محمد ، ت346هـ/957م، 1937م، مسالك الممالك ، د. ط ، دار صادر ، 352.

3- الأصفهاني، علي بن الحسين، 356هـ/ 966م، 1995م، مقاتل الطالبيين، ط2، منشورات الشريف الرضي، 664.

4-الإدريسي، محمد بن محمد، ت 559هـ/ 1166م،2002م، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط1، ،مكتبة الثقافة الدينية، 1106.

5-الباخرزي، علي بن الحسن ، ت476هـ/1084م ،1930م، دمية القصر وعصرة أهل العصر ، ط1، المطبعة العلمية ،316.

6-ابن بطوطة، محمد بن عبدالله،ت779هـ/1377م،1987م،تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار،ط1، إحياء العلوم، 797.

7-البكري، عبد الله بن عبد العزيز، ت487هـ/ 1094م،1945م، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ط1، عالم الكتب، 1625.

8-البلاذري، أحمد بن يحيى، ت279هـ/ 892م،1998م، أنساب الأشراف "العباس بن عبد المطلب وبنوه"، ط1، دار اليقظة العربية،422.

9-البلاذري، 1987م ، فتوح البلدان، ط1، مؤسسة المعارف للنشر، 768.

10-البيروني، محمد بن أحمد، ت440هـ/ 1048م، 1900م، الجماهر في معرفة الجواهر، ط1، مكتبة المتنبي ،284.

11- ابن البيطار، عبد الله بن أحمد، ت 646هـ / 1248م، 1992م، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ط1، دار الكتب العلمية، 475.

12- الثعالبي، عبد الملك بن محمد، ت 429هـ/1038م، د. ت ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ط1، دار المعارف، 816.

13- الثعالبي، د.ت، لطائف المعارف، د.م ،158.

14- الثعالبي، د.ت، يتيمة الدهر في شعراء أهل العصر، د.م ،544.

15- الجاحظ، عمرو بن بحر، ت 255هـ /868 م، د.ت، البخلاء، ط5، دار المعارف، 510.

16- الجواليقي، موهوب بن أحمد، ت 540هـ/ 1146م،1990م، المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم،ط1،دار القلم، 678.

17- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، ت597هـ/ 1200م،1992م،المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ط1، دار الكتب العلمية، 260.

18- الحسيني اليزدي، محمد بن محمد، ت 743هـ/ 1342م، 2011م، استعراض في تاريخ السلاجقة ، ط1، دار المدى للنشر، 254.

19- الحموي، ياقوت بن عبدالله، ت 626هـ/ 1229م، 1977 م، معجم البلدان، ط1، دار صادر.

20- الحميري، محمد بن عبد الله ، ت 900هـ / 1494م ،1974م ، الروض المعطار في خبر الأقطار، ط1، مكتبة لبنان، 745 .

21- ابن حوقل، أبو القاسم محمد النصيبي، ت 367هـ/ 977م ،1992م، صورة الأرض ، ط1، دار مكتبة الحياة، 432.

22- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، ت808 هـ/1406،1984، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار ملوك العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر "مقدمة ابن خلدون"، ط1، الدار التونسية للنشر ،865.

23- ابن خلكان، أحمد بن محمد، ت681هـ/ 1282م، 1978م، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، د.ط، دار صادر.

24- الدينوري أحمد بن داود، ت282هـ/ 896م،1912م الأخبار الطوال ، ط1، مطبعة السعادة، 383.

25- الذهبي، محمد بن أحمد، ت748 هـ/ 1348م، 1996م، سير أعلام النبلاء، ط11، مؤسسة الرسالة، 663.

26- الراوندي، محمد بن علي، ت599هـ/1203م، 2005م، راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، 680.

27- سُهراب، أبو الحسن، ت330هـ/941م ،1929م، عجائب الأقاليم السبعة إلى نهاية العمارة ، ط1، مطبعة آدولف هولزهوزن، 201.

28- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، ت 911هـ/1505م، 1968م، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ط1، دار إحياء الكتب العربية، 655.

29- الشهرستاني، محمد عبد الكريم بن أبي بكر أحمد ، ت548هـ /1153م، 1968م، الملل والنحل ، ط1، مؤسسة الحلبي ، 202.

30- الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك، ت764هـ /1362م، 1991م، الوافي بالوفيات، ط2، دار النشر فرانتس شتايز،402.

31- ابن عنبة ،أحمد بن علي ، ت 828هـ/ 1424م،1961م، عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، ط2، المطبعة الحيدرية،379.

32- الغرناطي، محمد بن عبد الرحيم، ت565هـ / 1170م،1993م، تحفة الألباب ونخبة الإعجاب، ط1، دار الأفاق الجديدة، 218.

33- الغرناطي، محمد بن عبد الرحيم، 1999م، المعرب عن بعض عجائب المغرب، ط1، دار الكتب العلمية،157 .

34- أبو الفداء، اسماعيل بن محمد، ت 732 هـ / 1331م، 1840م، تقويم البلدان، ط1، دار الطباعة السلطانية، 539.

35- ابن فضلان، أحمد بن فضلان، ت349هـ / 960م، د.ت، رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة، ط1، مطبوعات المجمع العلمي العربي، 203 .

36- ابن الفقيه، أحمد بن محمد، ت 340هـ/ 951 م، د.ت، مختصر كتاب البلدان، د.ط، مطبعة بريل،365.

37- القزويني، زكريا بن محمد، ت682هـ/1283م، د.ت، آثار البلاد وأخبار العباد ، ط1 ، دار صادر، 667.

38- المسعودي، أبي الحسن بن الحسين، ت346هـ/957م، 2005م،مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط1،، المكتبة العصرية،341.

39- المقدسي، محمد بن أحمد، ت380هـ/ 990م، 1877م، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، د.ط، مطبعة بريل، 498.

40- المقري التلمساني، شهاب الدين أبو العباس أحمد ،ت 1041هـ/ 1631م ،1968م، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ط 1، دار صادر، 717.

41- ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ت711هـ/ 1311م، د.ت، لسان العرب، ط1، دار صادر.

42- النويري، أحمد بن عبد الوهاب ، ت 733هـ/1333م، د.ت، نهاية الأرب في فنون الأدب، د. ط ، 400.

43- إبراهيم، رجب، 2002م، المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص، ط1، دار الأفاق العربية،559.

44- بارتولد، فاسيلي،1981م، تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ط1،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،1040.

45- بيطار، أمينة، 1997م، تاريخ العصر العباسي، د.ط، منشورات جامعة دمشق، 443.

46- بوجمعة، جهيدة، 2003م، معارضة إقليم خراسان للدولة الأموية، أطروحة دكتوراه بجامعة أبي بكر بلقايد في تلمسان، 402.

47- ثويني، علي، 2019م، المكان والعمارة، ط1، المناهل، 498.

48- الحديثي، قحطان 1988م، أبو الحسن البلخي والمسجد الأزرق، جريدة الراصد البغدادية.

49- الحديثي، قحطان، 1990م أرباع خراسان ، العراق ، جامعة البصرة، ط1، 1990م، 589.

50- حسن ، زكي محمد، 1981م، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، ط1، دار الرائد العربي،185.

51- حسن، سولاف ،2013م، مظاهر البذخ والترف عند السلاجقة في العصر العباسي، مجلة العلوم الإنسانية في جامعة بابل ،83- 88.

52- حلمي، أحمد كمال الدين،1975م، السلاجقة في التاريخ والحضارة ، ط1، دار البحوث العلمية ،442.

53- الزركلي ،خير الدين، 2002م، الأعلام، ط15، دار العلم للملايين،335.

54- الدفاع ،علي، 1993م، رواد علم الجغرافية في الحضارة العربية والإسلامية، ط2، مكتبة التوبة ،265.

55- زكور، محمد ياسر،2018م، اصطلاحات الطب القديم، ط1، دار الكتب العلمية، 624.

56- شاكر، محمود ،1978م، خراسان ، ط1، المكتب الإسلامي ،64.

57- الشوابكة، نوال،2008م، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، ط1، دار المأمون للنشر،335.

58- ضيف، شوقي، د.ت، الرحلات، ط4، دار المعارف، 125.

59- عبدالله، سامية، 1999م، مظاهر التقدم الصناعي في المشرق الإسلامي، د.ط، مجلة كلية الآداب جامعة المنصورة ،29-94.

60- فهيم، حسين محمد،1989م، أدب الرحلات ، ط1، سلسلة عالم المعرفة من المجلس الوطني للثقافة والفنون، 231.

61- القاضي، النعمان ،2005م، شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، 312.

62- القحطاني، جابر بن سالم ،2019م، السموم داء ودواء ، ط1، العبيكان للنشر، 592.

63- القزويني، محمد كاظم، 1980م ، علي عليه السلام من المهد الى اللحد ، ط8، دار الصادق، 605.

64- كردي، علي،2013م، أدب الرحل في المغرب والأندلس ، ط1، مطابع الهيئة العامة السورية للكتاب، 176.

65- كريستنسن، أرثر، د.ت، إيران في عهد الساسانيين، ط1، دار النهضة العربية، 589.

66- لسترنج، كي ،1985م، بلدان الخلافة الشرقية، ط2، مؤسسة الرسالة، 586.

67- مؤنس، حسين، 1980م، "ابن بطوطة ورحلاته" تحقيق ودراسة وتحليل ، ط1، دار المعارف، 291.

68- مؤنس، حسين، 1986م، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، ط2، مكتبة مدبولي،743.

69- مجموعة من المؤلفين،1998م، المعجم الوسيط ،ط3، مجمع اللغة العربية، 1067.

70- الوزنة، يحيى بن حمزة ،2007م، مدينة مرو والسلاجقة حتى عصر سنجر، ط1، مكتبة الثقافة الدينية،236.